المشرق

السنة الخمسون — ايار – حزيران ١٩٥٦

تاريخ الدول السرياني

تأليف أبي الفرج الملطيّ (تابع)

بقلم الأب اسحق ارملة السرياني

وفي هذا الزمان تحرّش الاخوان ابنـا الشيخ عدي الذي يعتبره اكراد الموصل بمثابة نبيّ . وكان احدهما قد اقترن بابنة مغولية فتخوّف اخوه ونقل ذويه وهم زهاء اربعمائة نسمة وانهزم الى سورية في غنمه وبقره وخيله . وملك الرعب جميع المسيحيّين وخافوا ان ينهبهم بزوره ويقتلهم . لكنّه مرّ بهم ولم يؤذهم . وبعد سفره اقبل بعض اللصوص وحاصروا قريـة طكشور ببلد نينوى . وقاومهم القرويون وقتلوا منهم عشرةً وقتل من اهل القريـة خمسة رجال وخطف اللصوص سبع فتيات وثلاثِ فتيان .

ويوم الخميس ٣ تشرين الاول ١٥٨٧ لليونان (١٢٧٦م) حدثت زلزلة عنيفة في مدينة اركسطيا وهي ارغيش . فهبطت اسوارهـا القويّة وجميع ابنيتها

وهلك اغلب سكانها . وحدثت زلزلة كذلك في خلاط وصقعها في الساعة التاسعة وأخربت بعضها ولم تكن قوية كزلزلة ارغيش .

وفي تلك الايام خرجت قافلة كبيرة من التجار النصارى من قيليقية الى بلد الروم فوثب اليها ثلاثمائة فارس من التركمان واجهزوا على ثمانين منهم من مشاهير التجار النصارى قرب مدينة هرقلية ونهبوا جميع بضائعهم . وكان مع احدهم وهو من اسرة عيسى بن الحصيري مائة وعشرون الف دينار صوري ولم يفلت من القافلة سوى اربعة جمال عربية .

وفي شتاء هذه السنة احتشد زهاء سبع ربوات من الجيش التتري وساروا الى قلعة البيرة ليحاصروها فامتنعت عليهم بسبب هبوط الثلج المتراكم والبرد الشديد (٥٣٣) وظل الكثيرون منهم دون خيل فعادوا راجلين دون جدوى . وكان على راسهم القائد اباتي نوين الكبير فلما وصل الى آثور ادركه مرض عضال .

وعلى اثر عودة التتر هولاء استجمع التركمان قواهم واحتشدوا وتبعهم نحو الف خيال من المصريين وزحفوا الى ناحية مرعش يريدون الوصول الى قيليقية المذبة . فشعر الملك لاون وحشد جنوده الارمن وولى قيادتهم عمه البارون سيمباط القنطبل وغيره من الزعماء . فزحفوا نحو مرعش ليحاربوا التركمان يوم الجمعة من الاسبوع الثالث من الصوم الاربعيني فقتل سيمباط المذكور في اليوم عينه وقتل معه صاحب كربيزاج وثلاثة عشر من المشاهير وثلاثمائة فارس . وسقط من الاتراك كذلك جمهور غفير وانقلبوا راجعين وتعذر عليهم دخول البلد .

وقبل هذه الحوادث اعني في الاسبوع الاول من الصوم يوم الاربعاء ١٩ شباط ١٥٨٧ لليونان (١٢٧٦ م) هبت عاصفة شديدة في الموصل واربيل واطرافها وانتشر رمل احمر كثير حتى حجب الجو ولم يشاهد الرجل صاحبه منذ الساعة الثالثة حتى التاسعة . فهلع الناس هلعاً شديداً وظنوا ان الطوفان الهوائي او الزلزال الارضي سيفنيهم كما أفنى اهالي ارغيش . فخرجوا الى البرية وباتوا فيها . ولما خمدت الريح عادوا الى بيوتهم ؟ وقد هبت كذلك ريح عاصفة يوم احد الموتى السابق لاحد مدخل الصوم ولكنها لم تكن شديدة .

وفي تلك الغضون انتوى بيشار قائد حصن زياد اللئيم الخبيث سفاك الدماء ان ينهزم الى مصر وهو شيخ بالغ المائة من سنيه . وكان حاقداً على سركيس

اسقف الارمن في ارزنجان لانه كان ذا حظوة لدى الملوك الهونيّين . فافتكر هذا اللئيم ان يفتك به قبل ان يذهب الى مصر . فسار مع بعض اصحابه (٥٣٤) الى تلك المدينة وبلغه ان الاسقف يحتفل في احد ديورته بعيد الشعانين فترصده في الطريق . ولمّا عوّل ذلك الاسقف ليعود الى المدينة يوم الاثنين من اسبوع الآلام وكان ابنه الجليل كذلك معه قال له : يا ابني اذهب انت الى المدينة لاني اريد الذهاب لاتنزه في القرية الفلانية وادشن فيها الكنيسة الجديدة . فاذهب اذن ولا تتأخر . ولمّا افترقا اقبل ثلاثة فرسان اتراك ولاقوا الاسقف فانحدروا وقبلوا يده وقالوا له : ان قد وصل سفير يطلبك ويطلب ابنك ليقرأ الفرمان الذي معه . فقال لهم الاسقف : ان ابني قد سار الى القرية الفلانية اما انا فمنذا قادم . وما ساروا الّا القليل حتى ادركهم مائتا فارس تركي وانصبّوا على الاسقف وعلى ثلاثين من القسّان والرهبان والشمامسة وغيرهم ممن معه وفلقوا هامته ومضوا بها وانقلبوا الى القرية واحاقوا بالكنيسة التي كان فيها ابنه ودخلوها ولم يجدوه وكان قد اختفى في كومة قش هناك . ولمّا عوّلوا على الرجوع قال احد اولئك الظلمة الحبثاء . يجب ان نحرق هذا القش اولًا ثم نرحل فاضرم فيه النار وخرج ذلك المغدور فقال له الاتراك : اين هو ابوك ؟ فقال : قد دخل المدينة . فالقوا امامه هامة والده وما كاد يبصرها حتى جعل يولول ويبكي وهو منحنٍ فوقها فاجهزوا عليه كذلك وقطعوه قطعاً قطعاً . وبعد هذا سار بيشار الخبيث في بنيه وعسكره الى مصر .

اما بروانة مدبر مملكة بلد الروم فخاف ان يظن المغول بانه محالف للمصريين فاخذ ابنة السلطان ركن الدين ومضى بها الى خدمة ملك الملوك وقال له : بلغني ان المصريّ مستعد ليأتي ويخطفها ولهذا (٥٣٥) بادرت فاحضرتها . فشكره التتر على ذلك . ثم قال لهم : ان ابن الخُطير احد امرائنا يريد ان ياخذ الفتى غياث الدين صاحب بلد الروم وينهزم الى مصر . فأعطوني جنداً لاذهب سريعاً واقبض عليه . فسار معه قوتغرتاي اخو ملك الملوك وشاهدوا ابن الخطير والفتى في بقعة اياستين منهزمين الى سورية . ففتك الامير بابن الخطير وسلم الفتى الى بروانة فأجلسه على عرش ابيه . وهكذا حظي بروانة لدى التتر فاحبّوه حبّاً جمّاً بسبب ما ابدى لهم من الوداد والولاء .

وفي هذا الزمان وافى اعلم الدين يعقوب التاجر النصراني الكبير من زيارة قوبيلاي خان الكبير . وأصله من برقوطة قرية باربيل . ولمّا كان مسافرًا ادركته المنون بارض خراسان . وكان بصحبته السفير اشموط وكان رجلًا عظيمًا مكرمًا لدى الايغوريين سائرًا سيرة الرهبان . فهذا مضى بابنائه الى خدمة اباقا ملك الملوك فاستقبله استقبالًا حسنًا ثم نصب مسعودًا المذكور واليًا على الموصل واربيل وتولى تدبيره اشموط .

وفي السنة ١٥٨٧ لليونان (١٢٧٦ م) انهزم ابن الشيخ عدي الثاني من بلد الموصل الى مصر ومعه امرأته التترية .

وفي السنة ١٥٨٨ لليونان (١٢٧٧ م) نوى البندقدار صاحب مصر الشخوص بذاته الى بلد الروم . وقد اشار اليه في ذلك بيشار الشيخ والامراء الذين انهزموا اليه . وما ان شعر لاون ملك قيليقية حتى بعث فاخبر زعماء التتر ليكونوا على بصيرة من الامر . امّا بروانة فلسبب بغضه لملك الارمن او لعدم استقامته مع التتر صرح لهم بان لاون غير صادق في كلامه . اما ملك الارمن فلم يصطبر بل سار الى قلعة الدباب المجاورة (٥٣٦) للتتر . وجعل يرسل الوفود يوميًا اليهم ويقول لهم : انهضوا من غفلتكم وتحذروا فان المصري قادم في جيش ضخم . كان بروانة كعادته يكذّب الملك ويزيّف قوله مدّعيًا بانه يروم التحبب اليهم لا غير . وهذا ما حملهم على الاغماض عن قوله . وكان بروانة يولم لهم كل يوم وليمة ويسكرهم حتى يوم الجمعة ١٦ نيسان ١٥٨٨ لليونان (١٢٧٧ م) فانصبّ المصريون عليهم وشاهدوهم سكرى مضطربين لا يكاد يقدر الواحد منهم ان يركب حصانه . وبما ان شريعتهم لا تبيح لهم ان ينهزموا دون ان يلاقوا العدو فقد ناوشوا المصريين وانكسروا وقتل في تلك المعركة زعيمان تتريان احدهما طوغو وثانيهما توزان بهادر البطل . وكان مع التتر ثلاثة آلاف من الكرج فوقفوا يحاربون وقتل منهم الفان وتخلّف الف واحد . وقتل من المصريين خلق كثير . ومن المغول خمسة آلاف . امـا بروانة فلما رأى انكسار التتر هرب مع السلطان الى قلعة دوقية . وسار البندقدار صاحب مصر وخيّم بجانب قيسارية في موضع يقال له كيقوباد وبقي هناك خمسة عشر يومًا . ودخل قيسارية يومًا وجلس على عرش السلطان ولم يؤذِ احدًا وانما كان

جنوده يشترون ما يلزمهم مشترىً حتى العلف لدوابهم . وكان يقول لهم : ما جئت لاخرب البلد لكن لافك صاحبه من عبودية التتر . واما اباقا ملك الملوك فحينما وصلت اليه الاخبار جمع العساكر وقصد التوجه بنفسه الى بلد الروم . ولما عرف البندقدار انه لا يمكنه مقاومته ارتحل عن بلد الروم واخذ معه العجوز ام بروانة (٦٣٧) وابنه الكبير صهر ملك الارمن . وعند خروجه اجهز على نصارى مدينة رومان اذ قيل له ان التتر يستعينون باهاليها عند قدومهم الى سورية .

ولما وصل ملك الملوك الى بلد الروم لم يشاهد احداً من المصريين وانما شاهد التركمان منهزمين الى سورية فاغار عليهم وفتك بهم وسبى اهلهم . وساق الطمع بعض التتر فقتلوا وسبوا ونهبوا الكثيرين من المسيحيين مع ان الخان سبق فامرهم ان لا يتعدوا عليهم . وكان اولئك النصارى قد اخفوا لديهم كثيرين من التتر المنهزمين من وجه المصريين وقدموا لهم الطعام ، على ان الخان رفع كتاباً الى احد الرهبان وامره ان يطوف المعسكر ويبحث عن الاسرى النصارى ويعتقهم . وظلوا على ذلك حتى جال ملك الملوك جبال قبدوقية وعاد الى اقشا دربند ثانيةً .

ولما قدم بروانة الى ملك الملوك ظل يتحفى به ويكرمه ثم اخذه معه كأنه يريد ان يشاوره في مسألة بلد الروم وكم يلزم ذلك من الجند وكم من الفرق ينبغي ان تبقى هناك لمقاومة المصريين اذا زحفوا ثانيةً . ولما وصل الخان الى جبل الاطاغ بارمينية أولم وليمة لبروانة وسقاه كثيراً من لبن الخيل لانه ما كان يشرب خمراً ولما خرج ليريق مائه اشار اباقا الى حاملي الاسلحة فقطعوه تطعاً قطعاً يوم الاثنين ٣ آب من السنة المذكورة وهي السنة ٦٧٥ للعرب (١٢٧٦ م) وهكذا قتل مثلما قتل هو السلطان ركن الدين . وصح فيه القول : ان القاتل يقتل ولا يحسب دمه . قيل ان التتر لما جردوا عليه السيوف لم يجزع ولم يبالِ بل جعل يشتمهم ويقول : أهذا جزائي منكم وجزاء كل (٥٣٨) من يحبكم ؟

اما البندقدار فقبل وصوله الى دمشق ادركه قضاء الله العلي قرب حماة وعاجلته المنون واضمحلت افكاره الغامضة المتعودة الثورة والخصام . فقد تغطرس

كل التغطرس حتى كاد يقول مع فرعون القديم : ان لي نهر النيل وانا خلقته ! قيل انه في محاربته التتر اصابه سهم في وركه وظلّ النصل اياماً كثيرة ولما اذن للجرّاح ان يُخرجه فارق الحياة . وخلفه ابنه في مصر واقام صاحب حماة مدبّراً لسورية باجمعها . وتأكد لنا بعد ذلك ان خازنه خلط سمّاً قتالاً في حليب الخيل وسقاه . وعندما أحسّ الوجع أمر فسقوا الخازن كذلك وماتا كلاهما معاً.

وقد حدث في تلك الحرب ما يستحقّ الذكر وهو ان التتر لما انكسروا وسقط قتلاهم على الارض أمر البندقدار اخا ابن الخطير الصغير وكان منهزماً معه ان يطوف على القتلى ويجثّ عمن فيهم من المشاهير لكي يتباهى به لدى المصريين . وما ان مرّ ذلك الرجل بين القتلى وجعل يقلّب وجوههم ليعرفهم حتى شاهد بينهم تتريًا ساقطاً وفيه رمق ينتظر الليل لينهزم . فلمّا رأى التتريّ ابن الخطير يفلي القتلى غلب على ظنه انه يروم الاجهاز علي من لم يمت فاخذ قوسه واخرج سهماً من جعبته وصوّبه نحوه بكلّ دقة فأصاب جبينه وانغمس النصل في مخّه . وظنّ الذين كانوا معه ان سهماً هبط من السماء عليه فحملوه ومضوا به الى البندقدار فمات لساعته .

ويوم الخميس ١٧ حزيران (٥٣٩) من تلك السنة كمَنَ الاكراد الملاعين في جبل الفاف وقبضوا على عشرة رهبان من دير مار متى ونكلوا بهم . وفتكوا باحدهم المدعوّ ماصوتا وباعوا التسعة باربعة آلاف درهم .

وفي السنة ٥٨٩ لليونان (١٢٧٨ م) ارسل الملك لاون فاستدعى ابنته كتّة بروانة اليه لان زوجها نُقل الى مصر كما ذكرنا .

وفي هذه السنة حدث شتاء قاس وبرد شديد في اذربيجان وفي ارمينية الكبرى حتى حدود ستوتيه وهلك خيل اصحاب الخيام وبقرهم وقطيعهم . وقلّ الزاد حتى بيع مائة منّ من الحنطة اعني حملاً صغيراً من حمل الحمار باربعين ديناراً ركنياً في موجان .

وفي هذا الشتاء تشبّث الفافا الفارسي الذي عزل المسعود بن قوطي من ولاية الموصل فاستدعى شهود زور شهدوا على الشموط وعلى مسعود ودفع رشوة الى القضاة فحكموا له وقضوا على اولئك النصارى وعزلوهم وملّكوا الفافا .

وفي صيف هذه السنة احتشد التركمان والبدو والاكراد الذين في سورية

وزحفوا الى قيليقية ووصلوا الى تلّ حمدون وعاثوا في تلك الاطراف وغنموا غنائم وافرة وانقلبوا عائدين .

وفي السنة ١٥٩٠ لليونان (١٢٧٩ م) سمعت الملكة قوتاي خاتون الكبيرة ان يحتفل المسيحيون بعيد الدنح (الظهور) ويخرجوا الى النهر ويتبرّكوا بالماء . وكانت تلك العادة قد أُلغيت بسبب فتنة اثارها العرب . فاقبلت الملكة الى مراغة على رغم البرد القارس وأمرت المسيحيين ان يخرجوا كعادتهم في صلبان معلّقة برؤوس الارماح . ولما خرجوا افتقدتهم النعمة الالهية فاخمدت شدّة البرد واخضرّ العشب (٥٤٠) وانقلب الشتاء ربيعاً مما ابهج المغول جداً برعي مواشيهم والنصارى بانتصار ايمانهم .

وفي هذا الشتاء زحف الى بلد شيراز زهاء خمسة آلاف من التتر الخوارج كانوا منهزمين ومختفين في اطراف الهند وقد اتلفوا ذلك البلد وفتكوا بالكثيرين من اهاليه ولكنهم لم يقدروا ان يدخلوا المدينة بل بطشوا بمن خرج لمبارزتهم ولم يفلت منهم الا القليلون . ثم ان قطّاع الطرق في شيراز تصدّوا لاصحاب الاموال وسلبوهم بضائعهم . ولمّا بلغ ذلك ملك الملوك زحف اليهم وادركهم واهلك اغلبهم بحدّ السيف .

وكان في بغداد جندي شرّير وقح ناهضٌ بخدمة الحاكم اعتاد ان يفتري على الكثيرين ويفتضّ نساءهم . وكان يستهزئ باقطاب الحكومة على سبيل المزاح وفيما كان الحاكم ذات يوم خارجاً يتصيّد قبض احد الاقطاب على ذلك الجندي العاتي ونصب له مشنقة على عجلة وسمّر يديه ورجليه فطافوا به هكذا في شوارع بغداد وثقبوا لسانه بمسلّتين ثم قام احد الشبان وراء العجلة وجعل يكشّ الذباب عن وجهه ويشتمه قائلاً : هذا عقاب من يستهزئ بالاعيان والوجهاء . ثم مضوا به الى نهر دجلة وحزّوا هامته وعلّقوها فوق الجسر واحرقوا جثته بالنار . وقد اتعظ الكثيرون من الاشرار بهلاكه . وكانوا قد طافوا به ليلاً في الشوارع والمشعوذون ماشين امامه يضربون بالدفوف ويرقصون ساخرين به .

ويوم الجمعة ١٩ ايار من هذه السنة انقضّ الجيش المصري على قلعة الروم في تسعة آلاف راكب واربعة آلاف راجل وعلى رأسهم الامير باساري وعلى

رأس الجيش السوري حسام الدين العينتابيّ وحلوا عند نهر (٥٤١) فرزمان وأرسلوا سفيرين احدهما عربيّ وثانيهما ارمنيّ وقالا للجاثليق : ان السلطان يأمرك ان تسلّم القلعة بالامان وتذهب برهبانك الى اورشليم وتستقرّ فيها فيعطيك هناك قرى كافية لحاجتك . والا فاذا أبيت ذلك واحببت الذهاب الى قيليقية فهو مستعدّ ان يشيّعكم مكرّمين مع بغال وخيل . واذا تمنعت ورفضت ذلك فدماء المسيحيين اجمع يطلبها الله سبحانه منك .

اما الجاثليق فقال لهما : اني اكافح حتى الموت ولن اخون الله تعالى والملك. وعند ذاك طاف المصريون ليلتهم كلها في الحدائق وقطعوا الاشجار وهيأوا السلالم وصوّبوا القتال صباح السبت نحو المدينة وهزموا الارمن المحاربين في السور الجديد الذي ابتدوه . ثم وضعوا السلالم ودخلوا المدينة المنكوبة وانتهبوها واحرقوا جميع دورها ولم يجدوا فيها احدًا لان اهاليها قاطبةً كانوا هاربين . وظلوا خمسة ايام ينهبون ويعيثون ويحرقون ثم ارتحلوا عن المدينة واكلوا غلّاتها واكتسحوا كرومها واشجارها وحطموا حجار أرحيتها واقتلعوا قدور حمّاماتها ونقلوها الى حلب .

ولمّا كان المصريون في قلعة الروم ارسل ابن قرمان التركماني من بلد الروم الى صاحب مصر ليوجّه اليه العساكر كي يمهّدوا له السبل للدخول الى سورية اذ كان متخوّفًا من جنود التتر ومن ملك الارمن . فارسل صاحب مصر الى الملك لاون كي يفتح الطريق للامير بيساري فيذهب ويحضر ابن قرمان. فوافق الملك بشرط ان لا يمرّوا الا في الاطراف من بلده فانجزوا طلبه ومرّوا بالجبال واخذوا ابن قرمان من قيسارية وانقلبوا راجعين . وعند عودتهم انتوى الامير بيساري ان ينتقض على مولاه فاستحلف العساكر (٥٤٢) ودخل بلد قيليقية واقام خمسة عشر يومًا يسبي وينهب . وقضى عشرة ايام في عين زربة وألحق اضرارًا جسيمة بالاهالي المنهزمين . ولو أطال الاقامة هناك لاحتلّ المدينة . غير ان الله تعالى كفّه عن ذلك . فتوجّه الى دير الباقسطاط واحرقه باجمعه واحرق كذلك دير الربّان قوما ولم يصل الى دير كويخان . وما ان وصل الى سورية حتى انجلت الدسيسة لصاحب مصر ابن البندقدار فبرز حالًا من دمشق وانطلق الى مصر وجعل يحشد الجنود . فتخوّف بيساري ومن معه وتفرّقوا شذر مذر

وانهزم وحده الى اورشليم ولاذ برواق سليمان وحلق شعر راسه وادى التوبة على ذنبه .

اما ابن البندقدار فلما رأى ما وقع من الخلاف بين عساكره توجه الى قلعة الكرك واستقال من المملكة . فاجتمع الاقطاب وحالفوا اخاه الصغير وبايعوه بعرش مصر ولكنه لم يفلح . لان الامير ألفي انتقض عليه وعزله وملك مكانه .

وفي هذا الصيف انهزم ابن السلطان عز الدين صاحب بلد الروم من برقة وتوجه نحو اباقا فرحب به ترحيباً حبياً واراد ان يملكه نصف بلد الروم لكن الاقطاب لم يوافقوه محتجين بانه ان تم ذلك يزداد الخصام بينه وبين ابن عمه . فقرروا ان يؤدوا له نصف دخل البلاد دون ان يكون له امر ما . فارتضى بذلك على كره منه .

وفي السنة ١٥٩١ لليونان(١٢٨٠م) توجه اشموط الامير الايغوري ومسعود بن قوطي يريدان اباقا ملك الملوك وعرضا عليه ان القضاة المرسلين مع فافا الفارسي قد ارتشوا (٥٥٣) . فامر ابن اخيه وصهره ان يتوليا القضية ويطلعا على الحقيقة . وظلا شهراً كاملاً حتى حكما على الفافا وعلى القضاة الاولين الذين اقروا بما اخذوه منه رشوة . فصدر الامر وفلق رأس الفافا يوم الخميس ٨ آب من السنة المذكورة ونقل الى الموصل . وتولى مدينتي الموصل واربيل حكام مسيحيون كالسابق واشتهروا شهرة واسعة .

وصدر الامر كذلك بقتل جلال الدين توران الفارسي الذي من بلد كوتن لانه دافع عن فافا ولم يردعه عن وقاحته .

وانهزم يومئذ الى سورية الامير بدرو الكردي في اهله . وتتبعه التتر حراس الطرق ولم يدركوه . اما سنقور اشقر وكان في دمشق فلم يرَ ان يتولى ألفي على مصر فحشد الجنود ونازله فانكسر سنقور وانهزم الى رحوت يريد الامير عيسى البدوي واتفقا معاً فوجها سفيراً الى اباقا ملك الملوك ليرسل الجيوش لمحاربة ألفي . فزحفوا الى سورية وخافهم مسعود ولم يطمئن اليهم وانهزم الى قلعة صهيون ولاذ بها . ووصل التتر الى حلب واجهزوا على كل من صادفوه واحرقوا الابنية وانقلبوا . واختفى الكثيرون في المغاور فنجوا من

القتل . وكان قدوم التتر هذا الى سورية في شتاء السنة ١٥٩٢ لليونان (١٢٨١ م) يقودهم قونغرتاي اخو اباقا الاصغر .

وعلى اثر عودة التتر من حلب احتشد سبعة الاف فارس من المصريين وتوجهوا الى قلعة مرقب (٥٤٤) بساحل البحر . وما ان شعر الاخوة الدواوية اصحاب القلعة بقدومهم حتى برز مائتا فارس وخمسمائة راجل ليلاً وكمنوا في الغاضة القريبة وانحدروا من خيامهم وجعلوا ينصبون خيامهم فوثب اليهم المصريون وفتكوا باغلبهم ولم يفلت الا القليلون منهم .

وفي صيف هذه السنة ثار العجم اصحاب جلال الدين توران ووافا على مسعود بن قوطي مدعين انه انتهب من خزانة جلال الدين ذهباً وافراً وحجارة كريمة . فقبضوا عليه ونكلوا به تنكيلاً شديداً حتى كتب لهم بخمسين ربوة من الدنانير . اما سعيدات ابن عمه فقد حكموا عليه بالقتل : ومات تحت الضرب ابن سجينة العربي الموصلي المساعد لمسعود . وقتل كذلك ابو بكر الامير الكردي الذي ظل اعواماً في جبال آثور يقاوم الحكومة وكان قد ذهب به مسعود وصالحه مع الاردو . وقتل معه ثمانية من اصحابه . وقس عليهم ابن الشيخ عدي الكبير الذي انهزم الى سورية فلما رجع وذهب الى الاردو ودافع عن سبب هزيمته قضي عليه بالقتل كذلك . ثم سار الجنود المنول بمسعود الى الموصل ليؤدي الذهب فمكث معهم اياماً ثم فر ليلاً واختفى .

وفي خريف السنة ١٥٩٣ لليونان (١٢٨٢ م) زحف التتر كذلك الى سورية وعددهم خمس ربوات وعلى رأسهم مونكاتيمور شقيق ملك الملوك المحبوب . وحشد كذلك لاون ملك قيليقية جيوشه وسار الى نجدته . واحتشد جنود مصر وسورية وعلى رأسهم ألفي سنقور اشقر وقد اتفقا واصطلحا . واصطدم التتر والمصريون ما بين حماة وحمص يوم الخميس ٣١ تشرين الاول من السنة المذكورة وتقوى جانب (٥٤٥) التتر على جانب المصريين . ولما كادوا ينتصرون نصرة تامة خرج عليهم كمين العرب التغلبيين من ميسرتهم . فتوهم التتر ان عساكر الاعداء قد احاطت بهم من قدامهم ومن خلفهم فانقلب اصحاب القلب مع اهل الميسرة لينهزموا . اما اصحاب الميمنة وهم من التتر الاوراتيين ومعهم خمسة آلاف من الكرج وملك الارمن وجنوده ولم يشعروا بالكمين وانما

كسروا المصريين الذين في مقابلتهم وساقوا خلفهم حتى باب حمص وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . وما عتم ان وصل اليهم الخبر بهزيمة اصحابهم فرجعوا هم كذلك وفي رجعتهم صادفوا جماعة من عسكر المصريين الذين عادوا بعد هزيمة التتر . وتخوّف الجانبان احدهما من صاحبه والتحم القتال ما بينهما حتى اقصى كل منها الى ناحيته . وهكذا اقبل جانب التتر في غنيمة كثيرة من النقود المصرية والبغال والآنية . اما جانب الميسرة والقلب فقد القوا عنهم ادواتهم وسار اغلبهم راجلين وقد نهكهم الجوع والعطش . ورجع جانب الميمنة والقلب من المصريين الى دمشق في غنيمة وافرة اختلسوها من التتر . ولم ينجُ من ميسرتهم الا القليل في حالة يُرثى لها . ولولا قدوم اباقا الى سواحل الفرات وعودته الى بغداد لقضى التتر على المصريين القضاء المبرم .

وفي شتاء تلك السنة حدث غلاء شديد ازعج اهالي اثور وبغداد وكان سببه عودة الجنود التتر من سورية . وحدث كذلك برد قارس وانحدر في الموصل ثلج كثير خارق العادة .

وبعد ما حصل ما حصل بين المغول والمصريين احتشد لصوص المعدّنين والتركمان والاكراد وزحفوا الى قيليقية ووصلوا الى (٥٤٦) اياس واحرقوها وغزوها . ولم يشاهدوا فيها احداً من اهاليها اذ كانوا قد انهزموا جميعاً الى البحر ولاذوا بالقلعة الجديدة التي ابتنوها هناك . وبعد ما انتهب اللصوص ما انتهبوا عادوا ثانية وثالثة ورابعة ودخلوا البلد في اسبوع نينوى من السنة ١٥٩٣ لليونان (١٢٨٢م) ووصلوا الى تلّ حمدون واحتووا على غنيمة وافرة . ولما رجعوا أغلق الارمن دونهم الثغور واجهزوا عليهم قاطبة ونهبوا أسلحتهم وسلخوا جلود رؤوسهم وحملوا محّيات وافرة من السيوف والجراب والسلاح وجلود الرؤوس في شعرها وبعثوا بها جميعاً الى ملك الملوك .

وبعد ايام قليلة حشد حيدر حاكم قلعة البيرة الفي فارس واحتل حصن زياد . وانهزم جمهور من النصارى واحتموا بمسجد العرب الكبير فنجوا من الغائلة . واعتصم بعضهم في مكان يقال له العمود فتعذّر على اللصوص مناوشتهم لان ذلك المكان يشبه مخاضة لا سبيل الى العبور فيها . غير ان اولئك الملاعين سرقوا زهاء اربعة آلاف من النساء والفتيان ومرّوا بالفرات تجاه ملطية وغزوا

ضواحيها . وشاهدوا في عرقة جماهير من المسيحيين فاستاقوهم اسرى وانطلقوا الى سورية .

اما مونكاتمور فبعد عودته من سورية توجه الى بغداد وزار اباقا مبدياً اسفه الشديد على انكساره وعوّل على العودة الى سورية تكراراً . ولما وصل الى جزيرة قردو زاره الصفيّ قرقوبي واشتكى على حاكم المدينة مما افضى بمونكاتمور ان يعامل الاهالي معاملة فظّة . فحقدوا عليه واتفقوا سراً مع احد سُقاة الحمّام فسقاه سمّاً هناك أثّر في جسمه فانتقل من الجزيرة الى نصيبين . ولمّا استيقن ولاة (٥٤٧) الجزيرة بان خيط حياته قد قطع قبضوا على الصفيّ قرقوبي وعلى ابنه وحاجبه وطافوا بهم عراةً في اسواق المدينة وقتلوهم شرّ قتلة .

امّا اباقا ملك الملوك فارتحل من بغداد الى همذان وذهب يوم احد القيامة ١٥٩٣ لليونان (١٢٨٢ م) الى الكنيسة وابتهج في العيد مع المسيحيين . وفي الغد أولم له شخص فارسي اسمه بهنام وليمة عظيمة في داره . وليلة الثلاثاء تغيّر مزاجه وصار يرى خيالات في الهواء . وصباح الاربعاء اول نيسان و٢٠ في ذي القعدة انتقل من هذا العالم . ويوم الاحد ٢٦ نيسان و ١٦ محرّم انتقل كذلك أخوه مونكاتمور الى بلد الجزيرة . على ان الاقطاب بعد وفاة آباقا ارسلوا اليه سفيراً يخبره بوفاة اخيه ويقول له ان يعدل عن الذهاب الى سورية . فكان ما كان من امر وفاته ووفاة اخيه ملك الملوك دون ان يشعر الواحد بوفاة الآخر .

وبعد ايام وجيزة زحف ستة آلاف فارس من سورية وعبروا الفرات ووصلوا الى جزيرة قردو . وخرج هومين صاحبها ليناوشهم فقبضوا عليه وذهبوا به الى مصر معتقلاً . وهلع اهالي بلد الموصل وانهزموا جميعاً الى دير مار متى وتقلبوا في ضيق شديد وانتابهم الوباء فمات ثلاثون راهباً من الجملة .

وفي تلك الغضون نهض مجد الملك الكاتب الفارسي الجسور ورافع علاء الدين صاحب ديوان بغداد مدّعياً بانه سرق من مال الدولة كمّية وافرة فالقي القبض عليه وخسر كلّ امواله حتى اضطر ان يبيع اولاده الصغار من التجار . ولما كان في تلك الحال الضيقة توفي اباقا وخلفه احمد فاصدر الامر بقتل مجد الملك الجسور . وبعد قليل مات علاء الدين كذلك .

بعد اباقا تكودار اخوه الذي سُمّي احمد

لما انتقل اباقا ملك الملوك من هذا العالم اجتمع ابناء الملوك قاطبةً والامراء واتفقوا على ان احمد بن هولاكو الذي ولدته قوتي خاتون الملكة الكبيرة يتولى مملكة المغول في المغرب لانه جدير بها وهو اكبر اخوته . ولما جلس على عرش المملكة يوم الاحد ٢١ حزيران ١٥٩٣ لليونان (١٢٨٣ م) أبدى عطفاً جزيلًا وكرماً وافرًا . وفتح خزائن أبيه وأخيه ووزّع من الذهب والفضة مبالغ طائلة على الاخوة والامراء والعساكر . واظهر الاحسان والشفقة لجميع الاهالي ولا سيما لرؤساء الاديان المسيحية . وكتب الفرامين باعفاء الكنائس والاديار والقسوس والرهبان من الضرائب والخراج في كلّ قطر وناحية . ووجه الشيخ اتابك صاحب بلد الروم وقطب الدين شيرازجي حاكم سبسطية وشمس الدين بن تيتي وزير صاحب ماردين الى صاحب مصر يقول : طبقاً لامره تعالى ووفقاً لشريعة ابينا جنكزخان قد توليت مملكة المغول . وقد دعاني الله جلّ وعزّ الى الصلح والسلام فاروم ان يعيش كلُّ في بلده عيشةً هادئة مطمئنة وان تُلغى الحروب والمعارك في كل الارض . فاذا وافقتم على ذلك وجب ان تخلصوا الامان والخضوع واذا تماديتم في العدوان فالله تعالى يطالبكم بدماء المظلومين .

وقد وافق صاحب مصر على الموادعة وابطال الحروب بشرط ان تكون الموصل لابن بدر الدين وان يؤدي للمغول مثلما يؤدي غيرهم وقس على ذلك بغداد وسنجار .

ولما عاد اولئك السفراء واخبروا بما قيل لهم وجّه ملك الملوك الشيخ عبد الرحمان الى المصريين ليزيد (٥٤٩) الصلح وما برح مقيماً هناك . وقد فتحت الطرق واخذ التجار يسافرون من بغداد والموصل والعجم الى سورية ومن سورية ومصر الى بلاد التتر دون ادنى اذيّة .

على ان عبد الرحمان لمّا تهيأ للسفر الى سورية اخذ معه كمّية وافرة من خزائن الدولة المغولية كالحجار الكريمة والدرر العجيبة والذهب والفضة والانية والاقمشة المنسوجة بالذهب . وغادر الطاق الى تبريز واقام بها نحو شهر وجمع اليه الصناع والصيّاغ والخيّاطين وغيرهم واعدّ كلّ ما يجدر بالملوك ومن هناك

سافر الى الموصل وارسل فاستحضر من بغداد كذلك ربوة من الذهب وتوجه الى ماردين وهناك لقيه سفير السلطان الفي صاحب مصر وقال له : ان السلطان يقرئك السلام ويقول : قد مضى عليّ زمن مديد وانا مقيم في دمشق انتظر قدومك لاشاهدك واتمم رغبتك واعود الى مصر لان هذه الارض لا تحتمل الجيوش الوافرة التي معي . فارجو ان لا تتأخر .

فارسل اليه عبد الرحمن يقول : اني مستعد للقدوم فارغب ان توصي عبيدك كي يوصلوني الى بلدك مكرّماً وان لا يسافروا ليلاً كما جرى للسفراء الذين اقبلوا اليك قبلي . فارسل اليه السلطان يقول : انك كبير لدينا ومقامك عندنا غير مقام اولئك . فطب نفساً وهلمّ الينا مطمئناً كما تشاء . فوثق الشيخ عبد الرحمان بكلام السلطان وبعث في طلب الجيش التتري الذي يحرس طرق آمد فركبوا معه ثم ان الملك المظفر صاحب ماردين وجه معه كذلك شمس الدين ابن تيتي بمثابة سفير وكان هذا رجلاً عظيماً مشهوراً وسيّر معه كذلك العساكر لينهضوا بخدمة الشيخ حتى الفرات ويعودوا . فارتحل الشيخ من ماردين في شوال ٦٨٢ للعرب (١٢٨٣ م) وبوصوله الى حرّان لاقاه امير من قبل صاحب مصر وتوقف (٥٥٠) الشيخ ينتظر الامير لينزل عن حصانه ويأتي راجلاً ليسلم عليه ويقبل يده كالعادة لكن الامير ظلّ راكباً وحيّاه بالسلام ثم قال للشيخ : لا حاجة ان يأتي معك هولاء التتر فمُرهم ان يعودوا . فأذن لهم الشيخ في ذلك . وبعد هذا مضى امير بالشيخ ومن معه وسار في طريق البيرة وهو يقول : اننا قد اعددنا لك مكاناً للنزول في موضع آخر . ولمّا وصلوا الى ساحل الفرات قال له الامير : اننا قد مددنا الخيام في الناحية المقابلة . فقال له الشيخ : اننا نازلون حيثما تنزلون .

اما الماردينيون الذين قدموا في خدمة الشيخ فعوّلوا على الرجوع طبقاً لامر مولاهم . لكنّ الامير أبى ذلك وقال لهم : ان سلطاننا أمر ان تصلوا الى حلب . فعبروا الفرات على كره منهم وحلّوا هناك جميعاً وأعدّ الامير أطعمة وافرة للشيخ وحاشيته جميعاً . وبعد ما تعشوا واستراحوا وناموا نحو ساعة او اكثر ركب الامير ومن معه وارسل يقول للشيخ ان يركب كذلك فأبى وقال : لستُ اركب الّا بعد بزوغ الشمس . فقال له الامير : ان السلطان

أمرني ان اسفرك ليلاً شئت ام أبيت . فسخط الشيخ وقال له : لستُ اسافر في الليل ولو قتلتني . فقال الامير : لن اقتلك لكني اعتقلك واسفرك . عرف الشيخ انهم يحاولون النيل من كرامته فنهض وركب وساروا الليل كله وتزلوا وقت الفجر العميق خارجاً عن الطريق بعيداً عن السكن . ولمّا وصلوا ليلاً الى حلبَ انزلوا الشيخ في احدى المدارس ووردهم الامر من ألفي ان يدفعوا الكل من الماردينيين الذين قدموا في خدمة الشيخ مائتي درهم ويعيدوهم الى بلدهم . وان يحتفظوا بالشيخ واصحابه وبالامير المغولي الذي معه وبشمس الدين سفير صاحب ماردين ويأتوا بهم (٥٥١.) الى دمشق ليلاً وبعد ما امرهم بذلك غادر دمشق الى مصر ولم ينتظر الشيخ .

ولما وصل الشيخ الى دمشق مضوا به الى القلعة وسجنوه في غرفة واحدة وسجنوا سفير ماردين في غرفة ثانية . وجعلوا الكل اثنين من حشمه غرفة واحدة . اماّ الفتى ابن الامير المغولي وابن مجد المُلك فجعلوهما في خدمة كبير الامراء واخذوا يركبون مع الامير ويحملون سلاحه . ونهوا على الاطلاق السؤال عن الشيخ عبد الرحمان وقد انطوى خبره حتى يومنا هذا اذ مرّ على ذلك سنة كاملة .

وبعد سفر الشيخ عبد الرحمان الى سورية قيل للملك احمد ان لاخيه قونغراتي صلةً مع ارغون بن اباقا وانه مستعد ان يهجم ليلاً وانت راقد في خيمتك ويفتك بك . فخاف احمد وسارع فاوثق قونغراتي وقتله . ولما بلغ الخبر ارغون بقتل عمه حزن جداً وتغيّر قلبه على احمد . فشعر احمد بتغيير قلب ارغون عليه وسيّر الىناخ القائد في جيش كثيف للقبض عليه . فسار الى خراسان وانهزم ارغون من قدامه . فأهمل الىناخ أمره واغمض عن القتال واشتغل بالاكل والشرب والسكر . وفي بعض الليالي هجم ارغون على عسكر الىناخ وقتل منهم خلقاً كثيراً وانهزم الىناخ مع نفر قليل .

ولما أخبر احمد بذلك الحادث السيء سيّر الى جميع البلاد وحشد عساكر المغول والاكراد والعجم والكرج وسار الى خراسان يريد ارغون . فلما رأى ارغون انه عاجز عن المقاومة قصد احد الحصون ومعه ثلاثمائة من خيار الفرسان وجعل ينتقل من مكان الى مكان اذ لم يرَ ان يقيم (٥٥٢.) في مكان واحد

وهو يقول : ان كل محاصرٍ مأخوذٌ . وخاف ان يذهب الى طاعة احمد . فبينما هو كذلك اذا بالامير بوغا الذي كان محبوباً عند والده اباقا تقدم الى احمد وقال له : ان وعدتني بان لا تؤذي ارغون فانا امضي اليه واحضره اليك . فعاهده احمد كعادة المغول وقال : ان جاء اليَّ ارغون فلن اوذيه اصلاً . فسارع بوغا الى الحصن وخاطب ارغون وجاء به الى احمد ففرح به جدًّا وعمل له المآدب والافراح ثلاثة ايام . وفي اليوم الثالث تغيّر قلبه عليه واقام اليناخ وجماعته ليحرسوه وقال لهم : اني متوجه الى زيارة امي قوتي خاتون في اذربيجان فاحتاطوا انتم بارغون لئلا يهرب وهلموا به اليَّ حيث اكون . وفي تلك الليلة كشف سرّه لبعض الاكابر وقال لهم : ان لم اهلك ارغون وسائر اولاد الملوك فلن تنتظم لي السلطنة . وعند الصباح ارتحل واوصى ان يصحبوا اليه ارغون قليلاً قليلاً .

اما الامير بوغا فلما تحقق له الامر وعرف نية احمد وانه مزمع ان يهلك ابناء الملوك قاطبةً دفعته الحماسة فطاف عليهم واخبرهم بالامر فنهضوا ليلًا وقصدوا مكان ارغون واخرجوه وألبسوه الدرع ودفعوا له السلاح واركبوه حصاناً . وساروا جميعاً الى الموضع الذي كان فيه اليناخ راقدًا وقتلوه في خيمته وقتلوا معه جميع الاكابر اصحابه ونادى المنادون في معسكر المغول : ان ابناء الملوك قتلوا اليناخ واصحابه فيجب ان يقيم كل واحد في مكانه ولا يتحرك ولا يخف . وعند الصباح ارسلوا فاستدعوا المغول القراونس الخالقين (٥٥٣) لاحمد وتتبعوه جميعاً حتى ادركوه عند امهِ فقبضوا عليه واوثقوه واحتفظوا به ونهبوا اردو امهِ ونسائه . ولما وصل ارغون وسائر اولاد الملوك اتفقوا ان يملّكوه عليهم خلفاً لابيه اباقا وقرّروا ان يعزلوا احمد لانه لا يصلح للسياسة .

ولما كان المغول منهمكين في القتال مع بعضهم اغتنم الفي صاحب مصر تلك الفرصة فسيّر القائد حيدر في ثلاثة آلاف فارس الى بلد شكتان ليقبضوا على ابن اشكان القائد الارمني المتوار ويجعلوه في قفص ويذهبوا به اليه حيًّا ، ذلك لانه كان يؤذي عرب سورية . فعبروا الفرات وحلّوا عند قلعة تيتا وهي للارمن . وقد أُصيب حيدر بسهمٍ في المعركة الاولى فانزعج اصحابه وتركوا القلعة وفرّوا الى سورية . هكذا انتقم العدل الالهي من حيدر الذي بالغ في

نهب المسيحيين وأخرب ضواحي ملطية وحصن زياد . وتمّ ذلك في صيف السنة ١٥٩٥ لليونان (١٢٨٤ م) .

بعد تكودار الذي سُمّي احمد ارغون بن اباقا

تبوّأ ارغون عرش مملكة التتر يوم الاربعاء غرّة جمادى الاولى ٦٨٣ للهجرة اعني ٢٦ تموز ١٥٩٥ لليونان (١٢٨٤ م) وانتهت مملكة احمد واتفق اغلب امراء المغول على قتله . غير ان ارغون لم يرَ ان يشاركهم في ذلك وقال ان ام قونغراتي واولادها اعرف به فالذي يتوخون ان يفعلوه به فليفعلوه . وظل احمد اياماً مخفوراً حتى قتله اولاد قونغراتي وانتقموا منه . وتمّ ذلك يوم الاربعاء ثاني جمادى الآخرة و١٦ آب من هذه السنة . ولما استقام الأمر لارغون رتب لكلّ من اولاد الملوك بلداً من بلاده (٥٥٤) كبغداد ومازندران وآثور وخراسان وبلد الروم . وخافه الناس جميعاً ولا سيما اهالي سورية . قيل انه لمّا بلغ سورية الخبر ارتفعت اجرة الجمل من حلب الى حماة الى اربعمائة درهم اذ كانوا باجمعهم ينهزمون الى مصر . ثم ان الملك ارغون اقام معسود بن قوطي ملكاً على الموصل ونواحيها فابتهج النصارى قاطبةً . غير انهم تأسفوا على الامير اشموط الراهب الايغوريّ . ذلك لانّ اولاد جلال الدين توران فتكوا به يوم قدوم ارغون الى زيارة احمد كأنهم يريدون ان يأخذوا بثار ابيهم .

مقتل شمس الدين صاحب الديوان

كان شمس الدين صاحب الديوان سبباً لحدوث النزاع بين ارغون واحمد . اذ قيل لارغون انه هو الذي سقى اباك السمّ وقتله . بناء عليه جعل يرسل الوفود الى احمد ويطالبه به فلم يسلمه اليه . فغلب في ظن ارغون ان احمد اختار موت والده اباقا ليخلفه في مكانه . فلما فشل احمد وتعزّز ارغون انهزم شمس الدين الى جبال ماري واحتمى بالاكراد اللوريين وكان كبيرهم يوسف شاه وهذا لمّا عرف ان ارغون توطّد في عرش المملكة وافى الى خدمته واحتظى لديه ولا سيما لانه وعده باحضار صاحب الديوان الى عبوديته . وبعد هذا انطلق وأتى به الى ارغون وقدّم له هدايا وافرة بلغت نحو مائة ربوة من الدنانير ذهباً ثم عرضوا

عليه ان لا يهرق دمه . فطلب مهلةً ليبيع املاكه ويزدي مبلغاً اوفر . واشار عليه الزعماء ان يستعرض تلك الكمية ويقدمها ويعود فيتولى املاكه . حينئذٍ جعل يستعرض من أنسبائه واهله وعبيده وأصدقائه حتى جمع اربعين ربوة وقال : لست اقدر ان احصل على اكثر من هذا (٥٥٥) وما ترون ان تفعلوه فافعلوه . فبرز الامر من ارغون بقتله وعلقوه بيديه ورجليه وألقوه ثلاث مرات على الحضيض ورفسوه باحذيتهم حتى كلّوا . ثم فلقوا هامته يوم الثلاثاء خامس شعبان ٦٨٣ للهجرة اعني ١٧ تشرين الاول ١٥٩٦ لليونان (١٢٨٥ م) . تلك كانت عاقبة ذلك الرجل المهيب الداهية الذي كانت دولة المغول معلّقةً بخنصره . وكان ذا عقل وخبرة كاملاً متقناً لكثير من الحِكَم والعلوم .

اما اخوه علاء الدين الذي تولى بغداد وتوفي قبل سنتين تقريباً في موجان ونقل الى تبريز ودُفن فيها فقد كان كذلك متضلعاً من العلوم خبيراً بالشعر وصنف تاريخاً عجيباً في الفارسية ذكر فيه اخبار الدول السلجوقية . والخوارزمية والاسمعيلية والمغولية . وقد نقلنا عنه ما اثبتناه عنها في كتابنا هذا .

وفي السنة المذكورة مات كذلك السلطان غياث الدين بن ركن الدين صاحب بلد الروم . وكان قد قصد القدوم الى الاردو ليشكو اليه السلطان مسعود ابن عمه . وببلوغه الى ارزنجان سقاه الزعماء سمّاً وقضوا عليه لانه كان مشوّش العقل ومتقلّباً في عيش بذخ .

(يتبع)

صفحات من الأدب الفارسي

«ناصر خسرو»

«شاعر ورحالة وفيلسوف»

بقلم عارف تامر – سلمية (سوريا)

تمهيد :

كانت الحياة السياسية في القرن الرابع الهجري مضطربة اشد الأضطراب في ايران والعراق ومصر والشام . ومنعدمة من اي اثر لآثار الهدو. والأستقرار والأطمئنان . فالخلافة الأسلامية كما يبدو كانت موضع اخذ ورد تتنازعها دولتان كبيرتان هما «العباسية» في بغداد و«الفاطمية» في القاهرة، ومن الثابت ان كلاً من الدولتين كانت تحشد القوى وتضع الأمكانيات في سبيل ازاحة الثانية وابعادها عن مركز الخلافة ، هذا فضلاً عن دويلات صغيرة متفرقة الأهداف والغايات كانت تتنازع الحكم والنفوذ والجاه ، ومهما يكن من شيء فأن مركز الخليفة العباسي في بغداد كان في هذه الفترة حرجاً وخاصة بعد ان صار هذا الخليفة يلتجئ الى ملوك صغار لتحميه وترد الأذى عنه (كأحمد البويهي) الشيعي وغيره ، اما الدولة «الصفارية» فقد كانت تحاول الأعتداء عليه بينما تبادر الدولة «السامانية» الى حمايته ، وتأتي الدولة الفاطمية لتبعث بدعاتها الى «السامانيين» و«القزويين» و«البويهيين» وغايتها تمهيد السبيل للقضاء نهائياً على الخلافة العباسية ، وقد نجحت هذه الدعوة الى حد ما اذ انضم الى دعاتها امير الري (احمد بن علي) و (حسين بن علي المروزي) من «الأمراء» وقد رغب هذا الأخير في ان تعم الدعوة الفاطمية بلاد ما وراء النهر، فنصح الى الداعي الفاطمي «النخشبي» ان يسافر اليها وان يعمل على استمالة «نصر بن احمد الساماني» فنجح (النخشبي) في بغيته واصبح نصر من الأسماعيلية وقد دفع للامام الفاطمي «القائم بأمر الله» اموالاً ضخمة تعويضاً له عن قتل

(حسين بن علي المروزي) في (بخارى) ، وتتطور الأمور بعد مخاض طويل وتنقلب الى حوادث خطيرة اشد هولاً وعنفاً ويمكن تلخيصها بما يلي :

انقسام خطير في الدولة العباسية بين (القائم بالله) العباسي الخليفة السادس والعشرين والقائد العام للجيوش العباسية (ابي الحارث ارسلان البساسيري) الملقب (بالمظفر) الذي يقال انه ينتسب الى (امراء بني بويه) الشيعيين ، واضطرار الخليفة العباسي للاستنجاد بالقائد السلجوقي التركي الأصل (طغرل بك) ، وفي هذه الأثناء يقوم (داعي دعاة) الدولة الفاطمية — (المؤيد في الدين) (هبة الله الشيرازي) او (لورنس الفاطميين) كما اسميه الى العراق للاتصال بالبساسيري وتشجيعه على ثورته وليضع تحت تصرفه جميع الأمكانيات المادية والمعنوية التي تكفل له التغلب والأنتصار على العباسيين وحمله على مواصلة القتال ثم اغراء القبائل العربية المجاورة على شق عصا الطاعة والثورة على نظام الحكم العباسي تحت تأثير الأموال الكثيرة والهدايا والخلع التي كان يغدقها « المؤيد » على الزعماء والشيوخ والأمراء بلا عد او حساب ، وفي هذه الفترة يستولي « ثمال بن صالح بن مرداس » تاج الأمراء على حلب ويباشر حرباً شعواء مع (منيع بن شبيب النميري) صاحب (حران) بشأن (الرقة) ، اما (البيزنطيون) و (السلجوقيون) فيوقعون معاهدة صداقة وتحالف تقضي بغزو املاك الدولة الفاطمية في الشام وأعالي الجزيرة ، بينما ينضمّ الى جيش (البساسيري) بتوجيه (المؤيد في الدين) كل من (الامير نور الدين بن دبيس بن مزيد الاسدي) وصاحب (الحلة العراقية و (قريش بن بدران العقيلي) . مضافاً الى كل ما ذكرناه نشوب معركة (سنجار) الكبرى ودخول جيوش (البساسيري) (بغداد) (والموصل) (والكوفة) (وواسط) واعلان الخطبة بأسم (الامام الفاطمي الخليفة المستنصر بالله) وقد ظلّت الخطبة قائمة ببغداد مدة تزيد على العشرة شهور ، ثم ضرب السكة بأسمه وانشاد الآذان الفاطمي (حيّ على خير العمل) ولقد اقصي ايضاً الخليفة العباسي (القائم) عن بغداد بعد ان وقع صك التنازل وانتزعت عمامته وشرفة من قصره وبردة النبي وأرسلت جميعها الى القاهرة اشعاراً بالظفر ، وفي هذه الاثناء يستخلص القائد الفاطمي (ابو علم بن ملهم الخويلدي) حلب من (ثمال بن صالح بن مرداس) وبعد كل هذه الانتصارات يدب

الانقسام اخيراً في جيوش (البساسيري) فينقسم الى شيع وأحزاب . وتذر الطائفة والمنصرية بقوتها معلنة الفتنة العمياء مما مهد (لطغرل بك) الانتصار على (البساسيري) واجباره على الهرب .

بينما كل هذا يجري في بغداد كان الاضطراب قد اخذ ينذر القاهرة مهدداً بأوخم العواقب، فتختل شئون الوزارة، ويتتالى الوزراء واحداً بعد واحد، فمنهم من يمكث فيها شهوراً، ومنهم من كانت مدة وزارته اياماً، ومنهم من يمكث يوماً واحداً ، الى ان استدعى الامام الفاطمي (المستنصر بالله) (بدر الجمالي) وكان حاكماً عسكرياً في «عكا» وفوض اليه جميع الامور، وفي الوقت نفسه كانت امصار الفاطميين بأفريقية تمتنع عن تأدية ما عليها من ضرائب وتعلن استقلالها لتعود الى طاعة العباسيين ، وتتحرك قبائل (بني هلال وسليم) العربية النجدية الاصل من مصر العليا نحو الغرب لتعيث فساداً في (طرابلس) مدة طويلة ، ويغشى (النورمانديون) (صقلية) وكانت من املاك الفاطميين ، وفي الشام كانت الحالة في شبه فوضى والولاة والوزراء لا يكاد احدهم يستقر فيها حتى يخرج معزولاً او مذعوراً، والامور تزداد سوءاً واهل البلد احزاب يثورون بالولاة والقواد ، ثم تتأجج نار الفتنة ويثور اهل دمشق بأمير الجيوش (بدر الجمالي) والي الشام ، وفي هذه الفترة نفسها ايضاً يتم استيلاء (معلى بن حيدرة الكتامي) على دمشق فيضطر للهرب بعد ايام من دخوله بسبب الفتنة التي وقعت بينه وبين عساكر المدينة ، وتقطع خطبة الفاطميين نهائياً من الشام ، كما ان القدس تفتح من قبل (اتسز بن اوق الخوارزمي) وهو احد امراء السلجوقيين ثم يظهر فشله عند محاولته فتح الشام ، ويبدأ الصليبيون زحفهم باتجاه القدس ويتم فتحهم (لمعرة النعمان) و (انطاكية) ، وتتم هزيمة جيوش الفاطميين بقيادة (الافضل بن بدر الجمالي) بجوار بيت المقدس عائدة الى «عسقلان» ثم الى مصر .

في هذا الجو المضطرب ، وفي وسط هذا البحر الزاخر بالقلق الفكري نشأ الشاعر الكبير والرحالة العبقري والفيلسوف العظيم «ناصر خسرو» ، ومن هذه الاحداث الخطيرة يستمد خطوط منهاجه في الحياة ، ويقوم برحلته الكبرى المشهورة التي تحدثت بها الركبان، ويستقر في القاهرة لمدة ثلاث سنوات بالقرب من مركز « الامامة الفاطمية » حيث يلتقي بأمنيته الغالية التي طالما منى نفسه

بالاستظلال بظلها، وبالعب من معينها، والارتواء من ينبوعها، واعني بها (الدعوة الاسماعيلية) التي كان يعمل لنشر فلسفتها ، والتبشير بفكرتها ، وبمناسبة ذكر الرحلات نقول ان اقدم ما عرف من الرحلات في تاريخنا الشرقي : رحلة (ابن فضلان) رسول (الخليفة المقتدر بالله) العباسي الى بلاد (البلغار) القديمة ، وهذه الرحلة تمّت في القرن الثالث للهجرة وقد نقلها ياقوت وجاء على ذكرها في معجم البلدان ، ومن الرحلات المعروفة ايضاً رحلة (ابن جبير) في القرن السادس الهجري ، ورحلة (ابي الحسن الهروي الموصلي) في القرن السادس نفسه ، ورحلة (البلّوي المغربي) ، ورحلة (ابن بطوطة المغربي) في القرن الثامن ، امّا رحلة (ناصر خسرو) فتقع بين سنة ٤٣٧ ه وسنة ٤٤٤ ه ، فهي قبل رحلة (ابن جبير) بمئة عام ، وقد بدأت في (مرو) وفي (خراسان) ثم (بآذربيجان) و (أرمينية) و (الشام) و (فلسطين) و (مصر) و (الحجاز) و (نجد) و (جنوبي العراق)

حياته

هو الحكيم (ابو المعين ناصر بن خسرو بن الحارث القباديانيّ[1] المروزي[2] البلخي البدخشاني) . نشأ في اسرة متوسطة الحال لا هي بالغنية ولا هي بالفقيرة ، وتثقف ثقافة واسعة ثم التحق بخدمة السلطانين الغزنويين (محمود) ثم ابنه (مسعود) ، وبعد ان افلح السلاجقة بالقضاء على الدويلات الشرقية والامارات الصغيرة ، وأصبح الامر لهم التحق ناصر بخدمة (جغري بك السلجوقي) حاكم خراسان وتولّى امر خزانته في (مرو) وكان يدأب على قراءة اراء (الفارابي) (وابن سينا) واشتغل بتحصيل العلوم والبحث في الاديان والعقائد والاطلاع على شعراء الفرس والعرب وأخذ من كل فن طرف حتى بلغ درجة كبيرة في الفضل والعلم والحكمة . كانت ولادته سنة ٣٩٤ ه في (قباديان) وقد توفي صبيحة يوم الجمعة في الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة ٤٨١ ه ببلدة (فاريكان) من مواضع (بدخشان) وهذه البلدة نزح اليها فراراً من مناهضة

١ و٢) قباديان ومرو بلدتان في فارس الاولى واقعة بالقرب من (بلخ) والثانية مدينة وولاية بالقرب من ترمز على (نهر جيحون) .

امراء السلاجقة وعلماءها وفقهاءها الذين ناهضوه ووشوا به ودسوا عليه، وقد عاش سني حياته (بالتقية) حتى وفاته وقد رثاه اخوه (ابو سعيد) فقال:

طويت بلاد الله علّمت حكمة وصيّرت بين الناس قرماً ممجّدا
وقد فقت بيلاغوس بأسوء حاله وازرت افلاطون لحقاً مسددا
تحلّيت بالتقوى وما يمترى بها ورقّيت معراج السلاطين بالندى
وجاهدت خمساً وعشرين ليلة وسافرت بالابطاح كالطير تنتدى
ملأت الدنا بالمدح والذم شاهداً وصادفت مأمول البرية سرمدا
فأسكنت غور الغار غير مثاثر سوى رحمة الله الكريم وقد بدا
فعاقبة الدنيا خسار وذلة وفرقة احباب اذا ما تأبدا
سقاك اله الناس سقياً مرويّاً والبك الغفران يا ناصر الهدى(١)

آثاره ومؤلفاته

«الديوان» كان يبلغ ثلاثين الف بيت ولكنه الآن اثني عشر الف بيت – تحقيق تقي زاده – طهران سنة ١٩٢٩ . طبع على الحجر في تبريز سنة ١٢٨٠ هـ .

«سفرنامه» او كتاب رحلاته وقد ترجمه المستشرق (شيفر) باريس (١٨٨١ م) طبع هذا الكتاب ايضاً سنة ١٣٠٤هـ. وقد ترجمه الى العربية الدكتور يحيى الخشاب سنة ١٩٤٥

«وجه الدين» ترجمة وتحقيق كاثياني ، برلين ١٩٢٤ .

«زاد المسافرين» «١٩٢٣» ترجمه للعربية الدكتور يحيى الخشاب وطبع سنة ١٣٦٦هـ.

«خوان اخوان» «الدكتور يحيى الخشاب القاهرة ١٩٤٠» .

«روشنائي – نامه» او «الضياء» نشره (اتيه) وترجمه وعلّق عليه في مجلة المستشرقين الالمان سنة ٢٨٧٩ م وحققه المستشرق «ايڤانوف» ونشرته – الجمعية الثقافية الاسماعيلية – بومباي ١٩٤٩ .

«كشايش ورهايش» تحقيق السيد نفيسي بومباي – ليدن – ١٩٥٠ – من منشورات الجمعية الثقافية الاسماعيلية بومباي .

«جامع الحكمتين» ترجمة وتحقيق هنري كوربان ومحمد معين من منشورات المعهد الافرنسي للدراسات الايرانية طهران ١٩٥٣ .

«سعادة نامه» او كتاب السعادة وقد نشره (فانيان) في جزء ٣٤ من مجلة المستشرقين الالمان ص ٦٤٣ الى ٦٧٤ .

«ام الكتاب» نشر ايڤانوف ١٩٣٦ وعلق عليه بمجلة الدروس الاسلامية باريس ١٩٣٢

«بستان العقول» ، المفتاح والمصباح ، دليل المتحيرين ، الدلائل ، لسان العالم ، اختيار الامام واختيار الايمان ، كنز الحقائق ، تفسير القرآن ، ارشاد السالكين ، اصول

١) جامع الحكمتين – المقدمة ص ١٩ .

الآداب ، صحيفة الناظرين ، روضة المذنبين ، مطلب السائلين ، نصائح المؤمنين ، نورنامه ، وله غير هذا كثير من البحوث والمقالات وهو نفسه يقول :

« لا تنظر الى ضعف جسمي فقد قلت الكثير من الكلام
ولي من الآثار ما يربو عمّا في الفلك من النجوم »

وقال :

(لم يبقَ نوع من العلوم كان جديراً الا استفدت منه قليلاً وكثيراً)

منتخبات من اشعاره

« رأيت في الفلاة رجلاً ، مزّقت جسده الذئاب
فنهش النسر لحمه ، وطعم منه الغراب . . . !!
وتبرز النسر ، فتبرز في قنن الجبال والقفار
وتبرّز الغراب . فتبرّز في قاع الينابيع والآبار . . . !!
فهل يستطيع ان يحيَ مثل هذا الرجل في يوم الحشر والنشور . . . ؟ »

٥

« خرج ناصر خسرو ليتنزّه في يوم من الايام
مثقل الرأس ولكن بغير الكأس والمدام . . . !!
فرّ بمزبلة الى جوارها جملة من القبور
فنادته المزبلة وقالت له : لا تنظر اليَّ في فتور . . . !!
وتأمل حال الدنيا . . . وما اعدت من نعم لضحاياها المساكين
فقد اشتمل جوفي على نعمها . واشتملت القبور على الآكلين الجاهلين . . . !!

٥

يا رياح الصبا . . . تحمّلي مني الى خراسان السلام
الى اهل الفضل والعقل منها . . . لا الى العوام والطغام . . . !!
كما حملت اخباري الصحيحة اليهم . . .
احملي اليَّ ثانية اخبارهم ، وحدثيني عنهم . . . !!
وقولي لهم : ان الدنيا قدحنت عودي المستقيم
وحطمتني بمكرها المعروف وغدرها المقيم . . . !!
فحذار ان ندع عهودها توقعك في الشرور والآثام
فانها لا ترعى لاحد عهداً . . . ولا تعرف الوفاء والدوام . . . !!

فكري شجرة مورقة طيبة الثمرات
اوراقها المنة ، وثمارها العلم والطيبات . . . ! !
واذا شئت ان تعرف حالي على الحقيقة وفي جلاء
فانظر اليّ بعين البصيرة ، كما يفعل العقلاء . . . ! !
ولا تنظر الى جسدي الضعيف الواهن . . . وانظر الى اقوالي ذات الرواء
فلي آثار كثيرة . . . يزيد عددها على نجوم السماء . . . ! !
وشكراً لله . . . انه هداني الى طريق العلم والدين
وفتح لي . . على مصاريعه . . . ابواب الرحمة واليقين . . ! !
وجعلني اشهر من الشمس في اوج السماء
لأني عرفت بحبي (لآل الرسول) والائمة الاصفياء .

٥

وانت ايها الجسد الجاهل . . . ليس لك عمل الا النوم والطعام
ولكن العقل لديّ خير من الاكل الطيب وطول المنام . . . ! !
وفي رأي العقلاء ان لا عمل للجبير . . . الا النوم والغذاء
ومن العار ان يكون حالي كالجماد ، مع ما لي من عقل وذكاء . . . ! !
وانت يا جسدي . . . سوف لا اقيم معك في هذه الدنيا الفانية .
لان الله يدعوني الى داره الثانية . . . ! !
حيث يعتبرون المجد بالاعمال والفضائل ، لا بالنوم والاكل
فليكفك النوم والاكل . . . وليكفني الفضل والعقل . . . ! !
وقد ذهب قبلي ما لا يعد من الناس والانام
ومها طال بقائي . . فأعتبرني ممن اودت به الايام . . . ! !
وسأطير بجناح الطاعة ذات يوم . . . فأخرج من هذه القبة العالية
وكأنني الطائر يضرب بجناحيه في اطباق الهواء العالية . . . ! !
وجميع الناس يحذرون ضربات القضاء والقدر
ومع ذلك فهما دليلا طريقي في هذا السفر . . . ! !
و(القضاء) اسمه (العقل) و (القدر) اسمه (الكلام)
وقد اصبح عقلي ونفسي افصح من يحدثني الآن بأمري
فلم الحذر والخوف من نفسي ، وما يجيش به صدري . . . ! !
ويا من قنعت من القضاء والقدر بالاسم والكلام
اذا ظننت نفسك دابة . . . فلا تظنني ايضاً من الانعام . . . ! !

الخلاصة

عسى ان يكون ما قدمناه في هذه الصفحات كافٍ لتعريف هذا الشاعر « الاسماعيلي » الكبير صاحب الآراء الفلسفية العظيمة ، والنظريات العلمية المفيدة الذي لعب دورًا هامًّا في مجال الفكر الاسلامي وكتب احسن البحوث والكتب في الفلسفة والحكمة والعلوم .

الجزء الاول

من تكملة تاريخ الطبري محمد بن جرير (تابع)

رحمه الله

نشره البرت يوسف كنعان

وذكر حامد حججاً كانت في يده ، فقال ابن الفرات . انا فتشت صناديقك فلم اجد فيها ما ذكرت وانا المقدم باحضارها وتفتيشها فقال حامد افتشتها بعد ان فتشها الوزير وقبضها نازوك وفتح اقفالها ، فخجل ابن الفرات وتعجب الناس من استيفاء حامد الحجة .

فاخرج ابن الفرات عملاً وجده في صناديق غريب غلام حامد ، وهذا الغلام كان يتولى بيع غلات حامد ، وحمل ذلك سهواً لان حامداً كان يجمع حسباناته ويغرقها في دجلة ، فرأى[1] انه قد بيع غلات تلك السنة سوى القضيم بخمسماية الف دينار ونيف واربعين الف دينار ، فبان الفضل ، وظهر التضاعف ، مع كون الاسعار رخيصة في تلك السنة ، وعالية فيما بعدها .

وقال حامد لابن الفرات . انني اكرم الوزير عن استماع ابنه جواب ما يشتمني ، فحلف ابن الفرات براس الخليفة ، ان لم يمسك ابنه استعفى[2] الخليفة[3] في هذه القصة .

فامسك المحسن حينئذ ، واعيد حامد الى محبسه (٤٦/٣٢) ، وطولب بالمال ، فاقام على انه لا مال عنده ، وانه قد باع ضياعه ، وباع داره من نازوك بمدينة السلم ، باثني عشر الف دينار ، وباع خدمه وباع اخصهم به من نازوك بثلاثين الف دينار .

فالتفت الخادم الى نازوك وقال له لا تستضع بي ، فلا تبتاعني ، فلم يقبل منه ، فابتاعه ، فلما كان في تلك الليلة شرب الخادم زرنيخا فمات من ليلته .

وخلا ابن الفرات بحامد ، وقال ان اخبرت باموالك ، صنتك عن مكاره

---

١) في الاصل فرءا

٢) في الاصل استعفا

٣) بعدها بياض في الاصل ، وفي تجارب الامم ١١/٥ قال : ليستعين الخليفة من مناظرته

ابني ، ووليتك فارسا ، وحلف له على ذلك ، فاقر بدفاينه في بلاليع بواسط ، وقدرها خمسماية الف دينار ، وثلاثماية الف عند قوم من العدول ، واقر بقماش له عند ابن شابدة وابن المنتاب واسحاق بن ايوب وعلي بن فرج بثلاثماية الف دينار .

فعرّف المقتدر ذلك ، وقال له ابن الفرات قد اقر بذلك عفوا من غير مكروه .

وما زال ابن الفرات مكرما لحامد يلبسه لين الثياب ، ويطعمه هني الطعام ، الى ان توصل المحسن على يدي مفلح الى المقتدر ، ان يتقدم الى ابيه ، باستخلافه ، فاستخلفه على كره من الاب لذلك ، وخلع المقتدر عليه ، وصار الى داره ، فقضى[1] اليه الكتاب والعمال للتهنية ، فسقطوا من درجة ساج صعدوا عليها من زبازبهم ، فلحقتهم ، فلحقتهم العلل لذلك .

وضمن حامد الخمسماية الف دينار ، واحضره ، فطالبه فقال لم يبق غير ضياعي ، وانا اوكل في بيعها ، فامر بصفعه ، فصفع خمسين صفعة ، واحدره الى واسط مع خادم وعشرة فرسان ، وذلك في عاشر شهر رمضان سنة احدى عشر وثلاثماية (٩٢٣) .

وشاع (ص ٣٨) ببغداد ان حامدا اشتهى[2] بيضا ، فطرح له الخادم فيه سما ، فاكله ، فلحقه[3] ذرب ، ودخل واسطا ، وهو مثخن ، فقام اكثر من ماية مجلس .

فاراد البزوفري[4] الاستظهار لنفسه ، فاحضر القاضي وشهوده وكتب ان حامدا ، وصل الى واسط فتسلمه البزوفري وهو عليل من ذرب وان تلف من ذلك ، فانما مات حتف انفه .

فلما دخل الشهود وقد قرر مع[5] حامد الاشهاد على نفسه قال لهم ان ابن الفرات الكافر الفاجر المجاهر بالرفض ويُبغض بني العباس رحمة الله عليهم ، عاهدني وحلف بالطلاق وايمان البيعة ، على ان اقررت باموالي لم يسلمني الى ابنه[6] ،

١) في الاصل فقضا
٢) في الاصل اشتها
٣) في الاصل فلحقه
٤) في الكامل ١٧٤/٦ وتجارب الامم ١٣/٥ هو محمد بن علي البزوفري
٥) في الاصل مكررة
٦) يعني المحسن بن الفرات

وصانني على المكروه وولاني ، فلما اقررت سامني الى ابنه فعذبني ودفعني الى خادمه فسقاني بيضا مسموما ، ولا صنع للبزوفري في دمي الى وقتنا هذا ، ولكنه[1] ، لعنه الله كفر احساني ونسي اصطناعي ، فاغرى[2] ابن الفرات بي وسعى[3] على دمي ، ثم اخذ قطعة من اموالي ، وجعل يحشوها في المساور البزنون[4] ويبتاع الواحدة منها بخمسة دراهم ، وفيها امتعة تساوي ثلاثة آلاف دينار . فاشهدوا على ما شرحته .

وتبين البزوفري انه قد اخطا .

وكتب ابن بطحا ، صاحب الخبر بواسط الى ابن الفرات بالحال ، فشق عليه .

وتوفي حامد[5] في دار البزوفري ليلة الخميس لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان سنة احدى عشرة وثلاثماية ، (٩٢٣) وغسل وكفن ، وصلى عليه القاضي والشهود بواسط .

واخذ منه ابن الفرات الف الف وثلاثماية الف دينار .

وقبض (٥/٢٨) المحسن على ابي احمد محمد بن متتاب الواسطي ، صاحب حامد ، فصادره على ماية الف دينار .

وحكى التنوخي ، عن بعض الكتاب قال حضرت مايدة حامد بن العباس وعليها عشرون نفسا ، وكنت اسمع انه ينفق على مايدته مايتي دينار ، فاستقللت ما رأيت . ثم خرجت فرأيت في الدار نيفا وثلاثين مايدة منصوبة ، على كل واحدة ثلاثون نفسا ، وكل مايدة مثل المايدة التي كنت عليها ، حتى البوارد والحلوى[6] ، وكان لا يستدعي احدا الى طعامه ، بل يقدم الى كل قوم في اماكنهم ، وكانت الموايد في الدهاليز ، وكان يقدم الكل من يحضر جديا[7] ، فيكون الجداء بعدد الناس ، ويرفع ما بقي ، فتقسمه الغلمان .

وقال حامد انا فعلت هذا لانني حضرت قبل علو امري على مايدة بعض اصدقائي ، وقدم عليها جدي ، فعولت على اكل كليته ، فسبقني رجل فاكلها ، فاعتقدت في الحال ، ان وسع الله علي ، ان اجعل جداء بعدد الحاضرين .

---

١) في الاصل ولاكنه
٢) في الاصل فاغرا
٣) في الاصل وسا
٤) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ١٠٤/٥ البزيون
٥) ترجم له في المنتظم ١٨٠/٦
٦) في الاصل والحلوا
٧) في الاصل جدي

وركب حامد ، وهو عامل واسط الى بستان له فراى[١] في طريقه دارا محترقة وشيخا [يبكي][٢] وحوله نسا وصبيان على مثل حاله ، فسأل عنه ، فقيل هذا رجل تاجر ، احترقت داره ، فافتقر ، وافلت بنفسه وعياله على هذه الصورة ، فوجم ساعة ، ثم قال فلان الوكيل ، فجاء ، فقال اريد ان اندبك لامر ان عملته كما اريد ، فعلت بك وصنعت ، وذكر جميلا ، وان تجاوزت فيه رسمي فعلت بك وصنعت ، وذكر قبيحا ، فقال مر بامرك فقال ترى[٣] هذا الشيخ ، قد المني قلبي له ، وقد تنغصت علي نزهتي بسببه ، وما تسمح (٥٢/٢٩) نفسي بالتوجه الى بستاني الا بعد ان تضمن لي اني اذا عدت العشية من النزهة وجدت الشيخ في داره ، وهي كما كانت مبنية مجصصة ، نظيفة[٤] ، وفيها الفرس[٥] والصفر والمتاع من صنوفه وصنوف الالات ، مثل ما كان فيها ، وعلى جميع عياله من كسوة الشتاء والصيف ، مثل ما كان لهم .

قال الشيخ فتقدم الى الخادم ان يطلق ما اريده ، والى صاحب المعونة ان يقف معي ، ويحضر كل ما اريده من الصناع ، فتقدم حامد بذلك ، وكان الزمان صيفا ، فاحضر اصناف الروزجاريه والبنائين[٦] ، فكانوا ينقضون بيتاً ويطرحون فيه من يبنيه . وقيل لصاحب الدار اكتب جميع ما ذهب منك ، فكتب حتى المكنسة والمقدحة ، واحضر جميع ذلك .

وصليت العصر ، وقد سقفت الدار كلها ، وجصصت وغلقت الابواب ، ولم يبق الا البياض والطوابيق ؟ فانفذ الى حامد رسالة التوقف في البستان ، وان لا يركب منه الى ان يصلي العشا الاخيرة ، وقد بيضت الدار وكنست وفرشت ، ولبس الشيخ وعياله الثياب ، ودفعت اليهم الصناديق والخزانة مملوءة بالامتعة .

واجتاز حامد والناس مجتمعون له كانه نهار في يوم عيد ، فضجوا بالدعا له ، فتقدم الى الجهبذ بخمسة الاف[٧] درهم ، يدفعها اليه ، يزيدها في بضاعته ، وسار حامد الى داره .

---

١) في الاصل فر٠ا

٢) في الاصل بعدها ياضىوالزيادة عن المنتظم ١٨٢/٦

٣) في الاصل ترا

٤) في الاصل نضيفة

٥) كذا في الاصل ولعله يريد الفرش

٦) في الاصل والبنا٠ين

٧) في الاصل ٠الاف

وفي هذه السنة ، توفي ابو اسحاق ابرهيم ابن السري الزجاج[1] ، صاحب المعاني[2] ، وكان يخرط الزجاج ، فاتى المبرد ، وكان يعلم لكل واحد باجره على قدر معيشته ، وقال له اني اكسب (٥٣/٢٩) في كل يوم درهماً ودانقين ، واني اعطيك درهما ، ان تعلمت او لم اتعلم ، حتى يفرق الموت بيننا ، وآخذ منك ، قال قد رضيت .

قال وانفذ اليه بنو مارمة[3] من الصراة يطلبون مودبا لاولادهم ، فانفذني اليهم ، وكنت اوجه اليه في كل شهر ثلاثين درهما .

وطلب عبيد الله بن سليمان منه مودبا لابنه القسم ، فقال لا اعرف الا مودب بني مارمة ، فكتب اليه عبيد الله فاستنزلهم [عني][4] وادّبتُ القسم ، فكنت اقول له ان ابلغك الله مبلغ ابيك تعطيني عشرين الف دينار ، فيقول لي نعم .

فما مضت الا سنون حتى ولي الوزارة ، وانا على ملازمته ، فقال لي باليوم الثالث ما اراك ذكرتني بالنذر ، فقلت لا احتاج مع رعاية الوزير الي ، اذكار خادم واجب الحق ، فقال انه المتضد ، ولولا ما تعاظمني ان ادفع ذلك في مكان واحد ، ولكني[5] اخاف ان يصير لي[6] حديثا ، فخذه مفترقا ، فقلت افعل ، فقال اجلس وخذ رقاع اصحاب الحوايج الكبار ، ولا تمتنع من مسألتي في شي ، فكنت اقول ، ضمن لي في هذه القصة كذا ، فكان يقول غبنت ، فاسترد[7] القوم ، فحصل عندي ، عشرون الف دينار ، فقال حصل عندك مال النذر ، قلت لا ، فلما حصل ضعفه ، اخبرته ، فوقع لي الى خازنه بثلاثة آلاف دينار ، فأخذتها وامتنعت ان اعرض عليه شي.[8] .

١) له ترجمة في نزهة الالبا ٣٠٨ وتاريخ بغداد ٧٩/٦ — ٩٣ وبغية الوعاه ١٧٩ ووفيات الاعيان ١١/١ والفهرست ٩٠ ومعجم الادباء ٤٠/١ ١٣٠ والمنتظم ١٧٦/٦ واللباب ٤٩٧/١ والبداية والنهاية ١٤٨/١١ وانباه الرواه ١٥٩/١ وطبقات النحويين ١٢١

٢) في الكامل ١٧٦/٦ والفهرست ٩١ وكشف الظنون ١٧٣٠/٢ كتاب معاني القران

٣) في ناريخ بغداد ٩٠/٦ مارمة ، وفي المنتظم ١٧٦/٦ مادمة وفي معجم الادباء ١٣١/١ وبغية الوعاة ١٧٩ بارقة

٤) زيادة عن المنتظم ١٧٦/٦ يقتضيها السياق

٥) في الاصل ولاكني

٦) في المنتظم ١٧٧/٦ ان يصير له معك حديثاً

٧) في المنتظم ١٧٧/٦ فانترد

٨) في الاصل شيئا

فلما كان من غد جيته ، فاومى[١] الي ، هات ما معك ، فقلت ما اخذت رقعة لان النذر قد وقع الوفا به ، ولم ادر كيف اقع من الوزير ، فقال سبحان الله ، اتراني كنت اقطع عنك شي.[٢] قد صار لك به عادة وصار لك به عند الناس منزلة وغدو ورواح الى بابي[٣] فتظن الناس (كذا) ان انقطاعه لتغير رتبتك ، اعرض علي[٤] رسمك وخذ بلا حساب ، فكنت اعرض عليه الى ان مات .

وحدث والدي[٥] رحمه الله ، قال اخبرنا القاضي ابو الطيب ، قال حدثني محمد بن طلحه الردادي[٦] ، قال حدثني القاضي محمد بن احمد بن المخرم[٧] انه جرى بين الزجاج وبين المعروف بسينة[٨] ، وكان من اهل العلم ، شر ، فاتصل ، ونسجه ابليس واحكمه ، حتى خرج ابراهيم الى حد السفه فقال مسينه .

ابى[٩] الزجاج الا شتم عرضي لينفعه فآثمه[١٠] وضره
واقسم صادقاً ما كان حرٌ ليطلق لفظه في شتم حره
ولو اني كررت لفرّ مني ولكن[١١] للمنون عليه[١٢] كره
فاصبح قد وقاه الله شري ليوم لا وقاه الله شره

فلما اتصل هذا بالزجاج ، قصده راجلا ، حتى اعتذر وساله الصفح

وورد الخبر بدخول ابي طاهر سليمان بن الحسن الجنابي[١٣] البصرة ، سحر يوم

١) في الاصل فاوما
٢) في الاصل شيئا
٣) في المنتظم ١٧٨/٦ بابك
٤) في الاصل على
٥) قال في المنتظم ١٧٩/٦ اخبرنا القزاز ، اخبرنا احمد بن علي ، اخبرنا ابو الطيب الطبري ، فلعله والد المؤلف
٦) في الكامل ١٧٥/٦ البزدادي
٧) في المنتظم ١٧٩/٦ المخرمي
٨) في بغية الوعاة ١٧٩ سيند (بالدال المهملة) وكذلك في معجم الادباء ١٣٦/١ وفي الحاشية رقم ٣ منه علق انه ذكر في روضات الجنات
٩) في الاصل ابا
١٠) في الاصل شانه
١١) في الاصل ولاكن
١٢) في المنتظم ١٧٩/٦ علي
١٣) نسبه في الكامل ١٧٥/٦ فقال : ابو طاهر سليمان بن ابي سعيد الهجري

الاثنين لخمس بقين من شهر ربيع الاخر سنة احدى عشرة وثلاث ماية (٩٢٣)، في الف وسبعماية رجل، وانه وصل اليها بسلاليم[1] نصبها على سورهـا وقتل الحراس، وطرح بين كل مصراعين حمل رمل وحصى[2].

وقتل سبك المفلحي امير البصرة، واحرق المربد، وبعض الجامع، ومسجد قبر طلحة رضي الله عنه، ولم يعرض للقرى. وحاربه اهل البصرة عشرة ايام بالكلا وهربوا منه ... ح فيهم السيف، وغرق[3] منهم الكثير، واقام[4] بها سبعة عشر يوما، يحمل على ... امو الهم، وسار الى (هجر) بلده.

وادعى[5] ابن الفرات، على ... عيسى، انه كاتب القرامطة، على المصير الى البصرة، واحضر ونوظر، فلم يصح عليه امره.

وقال الهماني سمعت علي بن عيسى، يعنف ابا عبد الله حين حلفت ان استغلال[6] ضيعتك بواسط عشرة الاف دينار، وقد وجد بها في حساب الهماني، انه يرتفع فيها ثلاثين الف دينار، فقال البريدي تسيت بسيدنا حين حلف لابن الفرات، ان استغلال ضيعته الصافية عشرون الف دينار، واستغلالها خمسون الفا.

وعلم انه مع ديانته، لو لم يعلم ان البقية مباحة عند من يخافه لما حلف، فكانه القم عليا حجرا.

وامتنع المقتدر من تسليم علي بن عيسى الى ابن الفرات، واراد حفظ نفسه، فادى ثمن دار كانت له بالجانب الغربي في سويقة ابي الورود، سبعة آلاف دينار، وقال للمحسن ما يمكنني اداء مصادرتي في اعتقالي، فالبسه جبة صوف وصفعه، فقام عند ذلك نازوك وقال لا احضر مكروه من قبلت يده السنين الكثيرة.

فلما علم ابن الفرات بفعل ابنه، لم يشك ان الخليفة ينكر ذلك، فبادر وكتب الى الخليفة فسأله في علي بن عيسى، وقال هو من مشايخ الكتاب، وعرفه خدمته، فخرج خط المقتدر، بان الصواب ما فعله المحسن، وانه قد شفعه فيه، وحل قيوده.

---

١) في الكامل ١٧٥/٦ ومعه السلاليم الشعر، وفي البداية والنهاية ١٤٧/١١ نصب السلالم الشعر في سورها

٢) في الاصل وحصا

٣) في الاصل وعرق

٤) يريد ابو طاهر

٥) في الاصل وادعا

٦) في الاصل استعلال

واشارت رندان[١] القهرمانة ، على ابن الفرات ، بتسليمه الى شفيع ، والا تسلمه الخليفة ، فاستدعى[٢] وسلمه اليه .

فخرج وقد اقيمت صلاة المغرب ، فقدم علي فصلى الناس في المسجد الذي على دجلة .

(٦ظ/٣١) ومضى مع شفيع فجلس في صدر طياره[٣] ، وجلس شفيع بين يديه ، واسعف ابن الفرات وابنه عليا في مصادرته ، وحمل اليه ابو الهيجا بن حمدان عشرة آلاف[٤] دينار ، فردها ، فحلف ابو الهيجا انها لا رجعت الى ملكه ، ففرقت في الطالبيين[٥] والفقراء . وبذل له شفيع اموالًا فابى[٦] من قبولها ، وقال لا اجمع عليك مونتي ومعونتي .

ولما صعد درجة شفيع ، مد شفيع يده فاتكأ[٧] عليها ، ولما قبض على ابن الفرات ، جعل يرجف ، فقال له لم لم تعطني يدك كما اعطيتها عليا ، فقال لان عليا اتقى[٨] لله منك .

ولما ادى علي مصادرته ، اذن المقتدر لابن الفرات في ابعاده الى مكة ، فاستأجر له جمالًا واعطاه نفقة ، وانفذ معه ابن الكوثاني صاحبه ، فاراد قتل علي ، فبلغ ذلك اهل مكة فهموا بقتل ابن الكوثاني ، فمنع علي منه ، وحفظه .

وصادر ابن الفرات جميع اسباب علي ، منهم ابن مقلة والشافعي ، ولما لم يجد على النعمان بن عبدالله الذي تب من التصرف سبيلًا في المصادرة ، وامتنع من الولاية ، احدره الى واسط ، وقبض البزوفرى عليه من جامعها لما رأى[٩] من اكرام اهل البلد له ، واخذ منه سبعة آلاف[٤] دينار ، ونفى[١٠] ابن الحواري الى الابلة ، وخنق بالمنارة بعد ان عذب ، ثم نبشه اهله وحمل الى بغداد .

---

١) في الاصل ريدان ، براء مهملة

٢) في الاصل فاستدعا

٣) راجع في وصف الطيار ، حبيب زيات معجم المراكب والسفن في الاسلام ، المشرق ٢٢١/٤٣

٤) في الاصل ١٠ الاف

٥) في تجارب الامم ١١٢/٥ الطالبيين

٦) في الاصل فابا

٧) في الاصل فاتكي

٨) في الاصل اتقا

٩) في الاصل را

١٠) في الاصل ونفا

وصادر المحسن ابا الحسن علي بن مامون الاسكافي على مائة الف دينار[١] .

وصادر المادرائيين حين قدموا من مصر على الف الف وسبعماية الف دينار .

ونفى[٢] ابن مقلة الى البصرة .

وقدم مونس المظفر من الغزو وقد فتح (ﻫ ٥٢ / ٣١) عليه ، فاخبر ابن الفرات ما تم على العمال منهم ، فسعى[٣] به الى المقتدر ، فقال له ما شيء احب الي من مقامك ببغداد ، لاني اجمع بين الانس بقربك والتبرك برايك ، والصواب ان تقيم بالرقة ، فتتوسط الاعمال ، وتستحث على المال .

فعلم [مونس[٤]] ان ذلك من عمل ابن الفرات ، فاجاب اليه ، وسال في المادرائيين ، فاطلقا ، ونفذ في ذي القعدة .

وشرع ابن الفرات في السعاية بنصر القشوري وشفيع المقتدري ، فالتجا نصر الى السيدة ، فقالت للمقتدر ان ابن الفرات ، ابعد عنك مونسا ، وهو سيفك وقد حل له ابعاد حاجبك[٥] .

واتفق انه وجد على سطح دار السر في يوم الثلاثا لخمس خلون من محرم سنة اثني عشرة وثلاثمائة (٩٢٤) ، رجلا اعجميا ، واقفا ، عليه ثياب ديبقي وتحتها قميص صوف ، ومعه محبرة واقلام وورق وحبل ، قيل انه دخل مع الصناع وبقي اياما ، وعطش فخرج لطلب الما ، فظفر به ، وسيل عن حاله ، فقال لا اخاطب غير صاحب الدار ، فقال له ابن الفرات . اخبرني عن حالك ، فقال لا اخاطب غير الخليفة ، فضرب وهو يقول ندانم[٦] حتى قتل بالعقوبة[٧] .

وخاطب ابن الفرات [نصر الحاجب[٨]] بحضرة المقتدر ، وقال كيف ترضى بهذا لامير المومنين ، وما يجوز ان ترضى به لنفسك ، وما سمعنا ان هذا تم على

---

١) زاد في تحفة الامراء ٤٦ وادى بعضها وتلف تحت المكروه
٢) في الاصل ونفا
٣) في الاصل فسا
٤) زيادة عن تجارب الامم ١١٦/٥ يقتضيها السياق
٥) وتجد نتمة هذا التحريض في تحفة الامراء ص ٤٧
٦) في الكامل ١٧٦/٦ ثم جعل يقول بالفارسية ندانم ، معناه لا ادري فامر به فاحرق
٧) هذا الخبر ورد في الكامل ١٧٦/٦ تجارب الامم ١١٨/٥ في جلة اخبار سنة ٣١٣
٨) زيادة عن تجارب الامم ١١٨/٥ يقتضيها السياق

خليفة قط ، وهذا الرجل صاحب احمد بن صعلوك[١] الذي قتله ابن ابي الساج ، واما ان يكون قد دسته ليقتلك بامير المومنين ، لتخوفك[٢] على نفسك منه ، وعداوتك لابن ابي الساج ، وصداقتك لاحمد بن علي ، فقال له نصر ليت شعري ، ادبر على امير المومنين لانه اخذ اموالي ، ونكبني وهتك (ﷺ) حرمي وحبسني عشر سنين .

ولم يزل امر نصر يضعف والسيدة مدافعة عنه .

وكان يوسف بن [ابي[٣]] الساج ، حين قلد اعمال الراي ، قتل بها احمد بن علي ، اخا صعلوك ، وانفذ براسه الى مدينة السلم .

ولليلتين خلتا من شعبان قرى الكتب على المنابر بمدينة السلم بفتح مونس المظفر في بلد الروم ، وامر فيه المقتدر برفع المواريث الحشرية ، كما فعل ذلك المعتضد بالله رحمه الله[٤] .

سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة

ورد الخبر بان ابا طاهر بن ابي سعيد الجنابي ورد الهبير لتلقي حاج سنة احدى عشرة وثلاثمائة (٩٢٣) في رجوعهم ، فاوقع بقافلة بغدادية ، واقام بقية القوافل بعيد ، فلما فنيت ازوادهم[٥] ، ارتحلوا ، فاشار ابو الهيجا بن حمدان ، واليه [طريق[٦]] الكوفة وطريق مكة ، ان يعدل بهم الى وادي القرى ، فامتنعوا وساروا فسار معهم مخاطرا[٧] حتى بلغ الهبير ، فلقيهم ابو طاهر ، فقتل منهم خلقا ، واسر ابا الهيجا واحمد بن بدر عم السيدة ام المقتدر وجماعة من خدم السلطان وحرمه .

وسار ابو طاهر الى هجر وسنه اذ ذاك سبع عشرة سنة ، ومات من

١) في تجارب الامم ١١٨/٥ احمد بن علي اخي صعلوك
٢) في الاصل لتخوفك
٣) سقطت في الاصل والسياق يقتضيها فزيدت
٤) في صلة عريب ٨٠ – ٨١ صورة هذا الكتاب
٥) كذا في الاصل وواضح في الكامل ١٧٧/٦ فلما فنيت ازوادهم .
٦) زيادة عن تجارب الامم ١٢٠/٥ يقتضيها السياق .
٧) في الاصل مخاطر

استاسره بالحفا والعطش ، فنال اهل بغداد منالًا عظيماً، وخرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه في الجانبين ، فانضاف اليهن من حرم الذين نكبهم ابن الفرات ، فانبسط لسان نصر عليه واشار على المقتدر بمكاتبة مونس .

ورجمت العامة طيار ابن الفرات ، وامتنعوا (كذا) من الصلوات في الجماعات .

وانفذ المقتدر[1] بياقوت وابنيه محمد والمظفر الى الكوفة ، ورجعوا حين علموا انصراف القرمطي الى بلده .

وجمع المقتدر بالله ابن الفرات ونصر وامرهما بالتظافر .

وقدم مونس الى بغداد ، فركب اليه ابن الفرات ، ولم تجر له عادة بذلك ، فخرج مونس الى باب داره ، وساله ان ينصرف ، فلم يفعل ، وصعد اليه من طياره حتى هناه بتقدمه ، وخرج معه مونس حتى نزل الطيار .

وانفذ المقتدر بنازوك وبليق فهجما[2] على ابن الفرات ، وهو في دار حرمه فاخرجاه حاسرًا فاعطاه نازوك رداء قصب[3] فقال له مونس الان تخاطبني بالاستاذ وبالامس نفيتني الى الرقة والمطر يصب على راسي ثم تذكر لامير المومنين سعيي في فساد مملكته .

ورجمت[4] العامة طيار مونس لكون ابن الفرات فيه وسُلم الى نصر وقبض على ولده واسبابه .

فكانت مدة ابن الفرات في هذه الوزارة الثالثة عشرة اشهر وثمانية عشر يوماً . واجمع وجوه القواد فقالوا ان حبس ابن الفرات في دار الخلافة خرجنا باسرنا فسلم الى شفيع واعتقل عنده .

واشار مونس بتولية ابي القسم عبدالله بن محمد بن عبيد الله الخاقاني فانفذ ابن الفرات الى المقتدر بتابة ونيف وستين الف دينار وقال لشفيع فعلت ذلك حتى لا يوهم الخاقاني المقتدر انه استخرجها .

---

١) في تجارب الامم ١٢٢/٥ واشار ابن الفرات بانفاذ ياقوت . . . فقدم المقتدر

٢) في الاصل فهجم ، وفي البداية والنهاية ١٥٠/١١ ثم جاءه في ذلك اليوم اميران من جهة الخليفة

٣) في الكامل ١٧٨/٦ فالقى عليه يلبق طيلسانا

٤) في الاصل ورجمه

قال الحمل[1] كاتب شفيع ولم ار قلباً اقوى من قلب ابن الفرات سالني من قلد الخليفة وزارته فقلت الخاقاني فقال الخليفة نكب ولم انكب انا وسالني عمن استخلف في الدواوين فقلت في ديوان (كذا) السواد ابن حفص فقال القدر رمى حجره وسميت له جماعة فقال لقد ايد الله هذا الوزير بالكفاءة .

واقر ابن الفرات بمائة وخمسين الف دينار اخرى وطولب بالمكاره فلم يستجب بتاتاً وكان لا يستجيب بمكروه وانفذ الى الخاقاني ايها الوزير لست غرّاً جاهلاً فتحتال علي وانا قادر على مال اذا كتب الخليفة الي اماناً على نفسي لاذيبا بالمال ويشهد عليه القضاة فيه فقال الخاقاني لو قدرت على ذلك فعلت ، ولكن[2] ان تكلمت عاداني خواص الدولة .

ورد الخليفة امره الى هارون بن غريب فاخذ يداريه وقال له انت اعرف بالامور وان الوزرا لا يلاجون الخلفا فلم يزل به حتى اخذ خطه بالفي الف دينار يعجل منها الربع وان يطلق له بيع ضياعه ، واوذن له في احضار دواة ، ليكتب الى من يرى[3] او ان ينفذ الى شفيع اللولوي ، ويطلق الكلوذاني ليتصرف في امواله .

وكانت حماة[4] المحسن لخروجه في زي النسا الى مقابر قريش فامست ليلة عن المصير الى الكرخ فصارت الى منزل امراة اخبرتها ان معها بنتا لم تتزوج وسالت ان تفرد لها بيتاً ففعلت وخلع المحسن ثيابه فجاءت جارية سودا بسراج ،فوضعته في الصفة ،فرات المحسن فاخبرت مولاتها فابصرت وكانت مولاتها زوجة محمد بن نصر وكيل علي ابن عيسى مات حين طالبه المحسن من الفزع فمضت امراة الى دار السلطان وشرحت الصورة لنصر فاركب نازوك وقبض عليه (كذا) وضربت الدبادب[5] لاجل الظفر به عند انتصاف الليل[6] فظن الناس ان القرمطي قد كسر[7] بغداد.

---

١) في تجارب الامم ١٢٧/٥ و١٢٨ الجمل ، بالجيم المعجمة
٢) في الاصل ولاكن
٣) في الاصل يرا
٤) في الاصل حمات ، راجع الكامل ١٨٧/٦ بشأن هذا الخبر.
٥) اي الطبل لصوته ج دبادب اقرب الموارد ٣١٦
٦) في الاصل اليل .
٧) كذا في الاصل ولعلها كبس كما هو في تجارب الامم ١٣٢/٥

وحمل الى دار مستخرج يعرف بابن بعدسر في المخرم بدار الوزارة فاجرى عليه المكاره واخذ خطه بثلاثة الاف الف دينار ثم ابتلع رقعته واقام على الامتناع من كتب شيء ، فضرب بالدبابيس على راسه وعذب .

واحضر ابن الفرات مجلس الخاقاني فناظره اشد مناظرة فلج ابن الفرات فيها فقال له الخاقاني انك استغللت ضياعك التي استغلها علي بن عيسى اربع ماية الف دينار وقال كان ذلك بعمارتي البلاد واعتادى ما جلب الربع ونوظر فيمن قتله ابنه وقيل له انت قتلتهم فقال هذا غير حكم الله قال الله تعالى[1] ولا تزر وازرة وزر اخرى[2] والنبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل معه ابنه لا يجني عليك ولا تجني عليه ومع هذا فان ابني لم يباشر قتلًا ولا سفك دمًا واجاب مونس حين قال اخرجتني من بغداد فقال انما اخرجك مولاك حين كتب الي يشكو[3] ما يلاقيه من تبسط وفتحك البلدان بالمؤن الغليظة واعلاقك اياها بسوء التدبير . وسال احضار سفط فيه المهات فاحضر وطلب الرقعة فوجدت فاخذها مونس ، وحملها الى المقتدر بالله واقراه الرقعة فزاد غيظه وامر بضربه فضرب خمس درر فقط وسلم وابنه الى نازوك فضربا حتى تودت لحومهما .

وحمل الخاقاني القواد على خلع الطاعة ان حملا الى دار الخليفة .

ولما توقف الخاقاني في قتلها وقال ليست ادخل في سفك (٦٢/ب) الدما ولا اسهل على الخلفا قتل خواصهم .

وحمل الى ابن الفرات ما يفطر عليه فقال رايت اخي ابا العباس في المنام يقول افطارك عندنا وما اخبرني بشي الا وصح وانا مقتول .

فاخرج القواد توقع المقتدر الى نازوك بضرب اعناقهما فقال هذا امر عظيم لا اعمل فيه بتوقع ، فشافهه المقتدر بذلك .

وجاء نازوك ، فامر السودان فضربوا عنق المحسن واتى براسه الى ابيه فجزع وقال يا ابا منصور راجع امير المومنين فان عندي اموالًا[4] جمة فقال له جل الامر عن هذا وامر به فضرب عنقه وحمل راسه وراس ابنه الى المقتدر بالله فامر بتغريقهما .

---

١) في الاصل تعلى .
٢) سورة فاطر الاية ١٧ .
٣) في الاصل يشكوا .
٤) في الاصل اموالٌ .

وكان سن ابي الحسن بن الفرات يوم قتل احدى وسبعين سنة وشهوراً وسن ابنه ثلاثاً وثلاثين سنة .

وقال الشوحي[١] كان من عادة ابن الفرات ان يقول لكل من يخاطبه بارك الله فيك ولم يكن يفارق هذه اللفظة . وكان علي بن عيسى يقول في كلامه وال والك فكان الناس يقولون لو لم يكن بين الرجلين الا ما بين الكلامين من الخشونة واللطف لكان من اعظم[٢] فرق .

ويقال ان علي بن عيسى خاطب الراضي يوماً بوال .

وكان ابن الفرات اذا ولي غلا معذاذ الشمع والكاغظ[٣] ، لكثرة استعماله لها فيعرف الناس ولايته لغلائها .

قال الصولي ابو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات من قرية يقال لها بابك[٤] قريبة من صريفين وكان ابوه محمد بن موسى[٥] ، تولى اعمالا جليلة ، واكبر اولاده ابو العباس احمد وابو (٦٣ب) عبدالله وابو عيسى من خيار المسلمين والزهاد جاور بمكة وواصل بها الصوم والصلاة ومات في وزارة اخيه .

وقد ذكرنا اسر القرمطي لالفي رجل ومايتين وعشرين وخمسماية امراة فاطلق منهم ابا الهيجا واحمد بن بدر عم السيدة وانفذ رسلاً يسال ان يفرج له عن البصرة والاهواز فلم تقع اجابة .

وكان سليمان[٦] بن الحسن بن مخلد وابو[٧] علي بن مقلة وابو الحسن محمد

---

١) كذا في الاصل ولعلها التنوخي .

٢) في الاصل اعضم .

٣) كذا في الاصل ولعله يريد الكاغد ، وقد شرح هذه اللفظة السيد حسن حسني عبد الوهاب احد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق في كتاب التبصر بالتجارة صفحة ٢٨ حاشية (رقم ١) ؛ وفي ثمار القلوب ٦٣١ للثعالبي نبذة عن كواغد سمرقند . وفي نهاية الارب للنويري ٣٦٧/١ وللاستاذ حبيب زيات بحث في درام الكاغد المشرق ٣٥/٤٩٧

٤) يقول ياقوت في معجم البلدان ٣٨٦/٣ بابلى قرية من صريفين ، ولم يذكر بابك ولعله الصواب .

٥) كانت في الاصل ابن عيسى ، ثم ضرب على عيسى وكتب بعدها موسى .

٦) في الاصل سلمى .

٧) في الاصل ابوا .

بن محمد بن ابي البغل معتقلين بشيراز فاطلقهم ابو[١] عبدالله الكرخي حين وقف على مثل ابن الفرات فكتب ابن ابي البغل على جانب تقويه .

وفي هذا اليوم ولد احمد بن يحيى[٢] وله احدى وثمانون سنة واتفق ان سليمان هرب في زي الفيوجي[٣] ، فاشتد الامر على الخاقاني وارجف له بالوزارة ودخل بغداد مستترا وصار ابن مقلة الى الاهواز واجري له في كل شهر مايتا دينار واذن له في المصير الى بغداد وسال موسى في علي ابن عيسى فكوتب صاحب اليمن بانفاذه الى مكة وحمل اليه كسوة ومالا نحو خمسين الف دينار ولما وصلها قلده الخاقاني الاشراف على الشام ومصر .

وتولى ابو العباس بن الخصيبي[٤] استخراج سبعماية الف دينار من زوجة المحسن .

وشغب الجند على الخاقاني فلم يكن عنده ما يدفعه اليهم وبقي شهورا لا يركب الى الموكب .

وكان مونس بواسط واشار عند قدومه بعلي بن عيسى واشارت السيدة والخالة بابي العباس بن الخصيبي[٤] ، وهو احمد بن عبدالله فولاه المقتدر (٢٤/٣١٣هـ) وقبض على الخاقاني وكانت وزارته سنة وستة اشهر .

وزارة ابي العباس الخصيبي[٥]

استحضره المقتدر يوم الخميس لاحدى عشر ليلة خلت من شهر رمضان فقلده وخلع عليه وكان قبل كاتب القهرمانة واستكتب مكانه ابا يوسف عبد الرحمان بن محمد وكان تايبا من العمل فسماه الناس المرتد .

واستدرك اموالا كان الخصيبي اضاعها فتنكرت القهرمانة الخصيبي وضاعت الامور بوزارته حين كان مواصلا للشرب ليلا ونهارا ويبيت مخمورا .

فصادره الخاقاني على مايتي الف وخمسين الف دينار .

---

١) في الاصل ابوا .

٢) في الاصل يحيا .

٣) راجع في تفسيره الجواليقي في المعرب ٢٦٣ ، والجوهري في الصحاح ١/ ١٦١ والشرتوني في اقرب الموارد ٢/ ٩٥٤

٤) في الاصل الخصي .

٥) ذكر الكامل ٦/ ١٨١ خبر هذه الوزارة في اخبار سنة ٣١٣

وصادر جعفر بن القسم الكرخي على مائة وخمسين الف دينار .

وتوجه جعفر ابن ورقا الشيباني بالحاج في الف من بني عمه وكان في القوافل الذين يندرقون الحاج ستة الاف[1] رجل فلقيهم الجناي[2] فهزمهم بالعقبة وولوا الى الكوفة ، فخرج قواد السلطان فهزمهم واقام الجناي[2] بالكوفة[3] ستة ايام وحمل منها اربعة الاف[1] ثوب وشي وثلاثماية دواية زيت وانصرف الى بلده .

واضطرب الناس ببغداد وعبر اهل الغربي منها الى الجانب الشرقي .

واتى موسى الكوفة ، فاستخلف عليها ياقوتا

وسار مونس الى واسط .

وقويت الكتب بفتح ابن ابي الساج طبرستان .

ووردت خريطة الموسم لاثني عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة بان النحر كان بمكة يوم الثلاثا ونحر الناس ببغداد يوم الاثنين . وحج علي بن عيسى وما (٦٩/٣٥) ورد بمكة من مصر[4]

سنة ثلاثث عشرة وثلاثماية

فيها فتح ابراهيم المسمعي ناحية القفص[5] واسر منهم خمسة الاف[1] رجل وحملهم الى فارس .

وكثرت الارطاب ببغداد حتى عملوا منها التمور وجهزوا بذلك الى البصرة ، فنسبوا الى البغي .

واتى القرمطي النجف فخرج مونس اليه فانصرف من بين يديه .

وفيها مات الخاقاني .

وفيها دخل الروم ملطية .

وفي هذه السنة توفي ابو الحسن علي بن محمد بن بشار الزاهد وقبره ظاهر بالعقبة عند النجمي يتبرك به وكان القادر بالله رضي الله عنه يزوره دايما وقال

١) في الاصل ٥٠الاف .

٢) كذا في الاصل ولعله يريد الجنابي .

٣) في الكامل ٦/١٨٠ الى باب الكوفة .

٤) بياض بعدها في الاصل .

٥) في الاصل النقص والتصويب عن معجم البلدان ٤/١٥٥

في بعض الايام اني لاعرف رجلا ما تكلم منذ ثلاثين سنة بكلمة يعتذر منها، فعلم الحاضرون انه اراد نفسه .

وجاءته امراة، فقالت ان ابني قد غاب، وقد طالت غيبته فقال لها عليك بالصبر فظنت انه يامرها باكل الصبر وكانت عندها برنية مملوة صبرا فمضت واكلت نصفها في مدة، على مرارة من العيش وشدة من الحال ثم رجعت اليه فشكت اليه غيبته فقال لها عليك بالصبر فقالت قد وفى من البرنية قال لها واكلتيه قالت نعم قال اذهبي فابنك قد ورد فرجعت الى منزلها فوجدت ابنها هناك .

وسمع ابن بشار من تاج المقتدر بالله غنا. فلما اصبح قال هذا الامام ولا يمكننا الانكار على الامام، ولبكن[1] ننتقل، فبلغ ذلك المقتدر بالله فانفذ اليه ايها الشيخ لا تنزعج ٦٦/٣٦ فترعجنا ونحن اولى بالانتقال منك، فكان هذا من عمل خادم وقد ادبناه وصرفناه عن دارنا ولن ترى بعدها ولا تسمع ما تكره.

سنة اربع عشرة وثلاثماية

فيها، مات الخاقاني[2] .

ودخل الروم ملطية فاخربوا سورها واقاموا ستة عشر يوما فدخل اهلها مستغيثين وبلغ اهل مكة مصير القرمطي نحوهم فنقلوا حرمهم واموالهم .

واستدعى ابن ابي الساج الى واسط وقلد اعمال المشرق وكناه الخليفة بابي القسم يتكنى بذلك على جميع القواد الا على الوزير ومونس المظفر وحمل اليه المقتدر خلعا سلطانية وخيلا براكب ذهب وطيبا وسلاحا .

ودعى[3] الى الري واضطرب امر الخصيبي[4] لاحدى عشر ليلة خلت من ذي القعدة .

ه

واشار مونس بعلي بن عيسى فاستدعى[5] المقتدر ابا القسم عبدالله[6] بن محمد

---

١) في الاصل ولاكن .

٢) وردت وفاة الخاقاني هذا في الكامل ١٨٥/٦ وتجارب الامم ١٤٧/٥ في جملة اخبار السنة السابقة وزاد الكامل قوله وهرب ابنه عبدالوهاب، ولم يحضر غسل ابيه ولا الصلاة عليه .

٣) في الاصل ودعا .   ٥) في الاصل فاستدعا

٤) بعدها بياض في الاصل.   ٦) في تجارب الامم ١٤٩/٥ وتحفة الامراء ٣٠٩ عبيدالله

الكلوذي واستخلفه لعلي[١] واستحضر سلامة الطولوني فتقدم اليه بالنفوذ في البرية الى دمشق ليحضر عليا . وظهر في ذلك اليوم ابن مقلة وجماعة من الكتاب، وسلموا على الكلوذاني وتمكنت هيبة علي بن عيسى في الصدور .

ووصلت حمول من البلدان مشى[٢] بها الكلوذاني الامور .

واطلقت في شهر رمضان ام موسى الهاشمية من حبسها والزمت منزلها .

ولم يحج احد من العراق .

سنة خمس عشرة وثلاثمائة

(٦٧/٣٦) وزارة علي بن عيسى الثانية

في صفر وصل علي بن عيسى الى بغداد وانفذ اليه المقتدر في ليلته فرشا وثيابا بعشرين[٣] الف دينار وخلع عليه وسار من الغد بين يديه كافة القواد الى دار[٤] بباب البستان[٥] فاعتقد العفو عن من اساء اليه .

واشتغل بالعمل ليلا ونهارا، فاستقامت الامور .

وكان الى عبدالله البريدي الضياع الخاصة ضمانا[٦] .

واقطاع الوزارة[٧] الى ابي يوسف اخيه الخراج براهرمز[٨] .

واحضر علي بن عيسى الخصيبي وناظره مناظرة جميلة[٩] واخذ خطه باربعين الف دينار . ومات ابراهيم المسمعي بالنوبندجان[١٠]، فقلد علي بن عيسى مكانه ياقوتا وقلد ابا طاهر محمد بن عبد الصمد كرمان

---

١) في البداية والنهاية ١١/١٥٤ قال نيابة عن علي بن عيسى

٢) في الاصل مشا

٣) في البداية والنهاية وعشرين

٤) في تجارب الامم ٥/١٥١ داره

٥) عرف به الاستاذ ميخائيل عواد في الكتاب الذي نشره باسم اقسام ضائعة من كتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء للصابي، صفحة ٧٢

٦) في الاصل صانا والتصويب عن تجارب الامم ٥/١٥٢

٧) في تجارب الامم ٥/١٥٢ الوزراء .

٨) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٥/١٥٣ برامهرمز

٩) المناظرة هذه نطالعها بالتفصيل في الكامل ٦/١٨٤، وفي الكامل ان المقتدر امر بها فاجريت

١٠) في الاصل بالنوبجان والتصويب عن الكامل ٦/١٩٠ وتجارب الامم ٥/١٥٧

وتقلد اعمال الاهواز ابا الحسن احمد بن محمد بن ماسداد[1] فقال ابو عبدالله البريدي تقلد هولاء هذه الاعمال وتقصر باخي ابي يوسف علي بن مهرمز وبي على ضياع الوزرا وكان قد كتب له بذلك منشورا خذ يا بني هـذا الكتاب فان لطلبي[2] صوتاً تسمعه بعد ايام .

وانفذ ابو عبدالله البريدي اخاه ابا الحسين الى الحضرة لما بلغه اضطراب امر علي بن عيسى وقال له اضمن اعمال الاهواز اذا ولي الوزارة من يرتفق فان عليا عفيف .

فلما ولي ابن مقلة الوزارة اعطاه عشرين الف دينار حتى ولاه الاهواز ، ثم صرفه بابي محمد الحسين بن احمد المادراني[3] ، فبان من تخلفه[4] ما صار به حديثاً .

واخذ عليه البريدى الطرقات فكان كل كتاب يكتبه يوخذ فما قرى له كتاب منذ دخل الاهواز الى ان (٦٨/٣٢) خرج عنها . فصرفه ابو علي بابي عبدالله البريدى واعترف باحترازه بطلل[5] المادراني .

وكان اقطاع الوزرا مائة وسبعين الف دينار بعد نفقاتهم فلم ياخذ ذلك علي بن عيسى وقال ضيعتي تكفيني .

ودخل الروم شميشاط ، وضرب ملكهم في الجامع النواقيس .

ووقعت وحشة بين المقتدر بالله ومونس سببها انـه حكي له ان المقتدر تقدم الى خواص خدمه بحفر زبية تغطى بالقصب فاذا اجتاز مونس وقع فيها فهلك فامتنع من المضي الى دار السلطان وركب اليه القواد فيهم عبدالله بن حمدان واخوته وقال له [عبدالله][6] ابن حمدان نقاتل بين يديك ايها الاستاذ حتى تنبت لحيتك فكاتبه المقتدر بالله على يدي نسيم الشرابي على بطلان ذلك فجاء وقبل الارض وحلف له المقتدر على صفاء نيته وامره بالخروج الى الروم فخرج

١) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ١٥٧/٥ ما نبداذ

٢) في تجارب الامم ١٥٨/٥ لطبلي

٣) في تجارب الامم ١٥٨/٥ وتحفة الامراء المادراني

٤) في تجارب الامم ١٥٨/٥ تجلفه

٥) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ١٥٩/٥ بطلل ذلك الشيخ

٦) زيادة عن تجارب الامم ١٦٠/٥ يقتضيها السياق

وشيعه الامير ابو العباس[1] وعلي بن عيسى ونصر الحاجب وهارون بن عريب .

وفي هذه السنة كان ظهور الديلم لما خرج ابن ابي الساج عن الري غلب عليها ليلى بن النعمان ثم ما كان بن كاكي ، ودخل [هذا الرجل][2] في طاعة صاحب خراسان .

وغلب بعده اسفار بن شيرويه وكان مرداويج[3] احد قواده فلما ظلم اسفار اهل قزوين خرج رجالهم ونساوهم مستغيثين الى المصلى داعين الله عليه فخرج عليه مرداويج، فهزمه فالجاه مرداويج حين راى[4] اثار حوافر الفرس فدخل عليه فاحتز راسه ، وعاد الى قزوين ووعدهم الجميل واظهر الخوف من دعايهم .

ثم [ان مرداويج][5] تغلب على الري (٦٩/٣٢) واصبهان واساء السيرة باصبهان حاجبه وعظمت هيبته ، وجلس على سرير ذهب وكان ينتقص[6] الاتراك ، وكان يقول[7] انا سليمان وهولاء الشياطين وكان اذا سار انفرد عنه عسكره خوفا منه فاشتق[8] العسكر شيخ على دابة وقال زاد امر هذا الكافر ، واليوم تكفونه[9] ، وياخذه الله اليه قبل تصرم النهار فدهشوا واتبعوه فلم يجدوه .

وعاد مرداويج الى داره فنزع ثيابه ودخل الحمام واطال فهجم عليه الاتراك فقاتلهم بكرنيب فضة فحزوا راسه بعد ان شقوا بطنه وظنوا انهم قتلوه فلما دخلوا عليه ثانياً راوه قد رد حشو بطنه ، وامسكها بيده وكسر جامه الحمام وهم الخروج .

وقبض ابن ابي الساج على كاتبه ابي عبدالله بن خلف البرقاني[10] لما عرف

---

١) يعني الراضي بالله كما ورد في الكامل ١٨٦/٦

٢) زيادة عن تجارب الامم يقتضيها السياق

٣) في تجارب الامم ١٦١/٥ مرداويج بن زيار

٤) في الاصل رءا

٥) زيادة عن تجارب الامم ١٦٢/٥

٦) في تجارب الامم ١٦٣/٥ يبغض من الاتراك

٧) القول لمرداويج فليعلم

٨) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ١٦٢/٥ ايضاً

٩) في تجارب الامم ١٦٣/٥ تكفنونه

١٠) في تجارب الامم ١٦٦/٥ ابو عبدالله محمد بن خلف النيرماني

سعايته به وسلمه الى كاتبه حسن بن هارون[١] وقيده واخذ خطه بست مائة الف دينار.

وكاتب المقتدر ابن ابي الساج لحرب القرمطي لما عرف خروجه من هجر لثلاث بقين من شهر رمضان واطلق له من بيت مال الخاصة فيما ينصرف الى علوفه بين واسط والكوفة فحمل ذلك اليه سلامة الطولوني وامر علي بن عيسى عمال الكوفة باعداد الميرة لابن ابي الساج .

وسار ابن ابي الساج من واسط طالبا الكوفة لليلة بقيت من شهر رمضان .

واطلق ابو طاهر القرمطي اسارى الحاج ووصل الكوفة فاخذ ما اعد ليوسف وهو مائة كر دقيقا ، والف كر شعيرا .

ووافى[٢] يوسف الكوفة بعد وصول ابي طاهر اليها بيوم وكان قد[٣] (٧٠/٣٨) تقارب عسكر ابن ابي الساج وعسكر ابي طاهر في يوم ضباب واحس[٤] به ابو طاهر وكف عنه فالتقوا يوم السبت لتسع خلون من شوال على باب الكوفة فاحتقر ابن ابي الساج عسكر ابي طاهر ، وازرى[٥] عليهم وتقدم يكتب كتاب الفتح قبل اللقا تهاوناً بامره .

والتفت ابو طاهر الى رفيق له وقد سمع صوت البوقات والدبادب وكانت عظيمة جدا فقال ما هذا الزجل[٦] ، فقال له صاحبه ، فشل فقال اجل .

وعبى ابن ابي الساج رجاله ، وكان القتال من ضحى[٧] النهار الى غروب الشمس فثبت يوسف ثباتاً حسناً وجُرح من اصحاب ابي طاهر بالنشاب خلق وكان ابو طاهر في عمارية مع مايتي فارس من اصحابه فنزل حينئذ وركب فسار وحمل بنفسه وحمل يوسف بنفسه واشتبكت الحرب فاسر يوسف ابن ابي الساج بعد ان ضرب على جنبه ضربة وقد اجتهد به اصحابه في الانصراف فابى وقتل من اصحابه خلق وانهزم الباقون .

١) في تجارب الامم ١٦٦/٥ ابو علي الحسن بن هرون
٢) في الاصل ووافا
٣) تكررت في الاصل وكان قد
٤) في الاصل واحسن
٥) في الاصل وازرا
٦) الزَّجل الجلبة ، وموكب زجل ذو ضجيج اقرب الموارد ٤٥٧/١
٧) في الاصل ضحا

وحمل يوسف الى عسكر ابي طاهر فضرب له خيمة وفرشت ووكل به واستدعى[١] بطبيب يعرف بابن السبعي[٢] ليعالجه فقال قد جمد الدم على وجهه وازيد ماء حارا قال فلم اجد عندهم ما اسخن فيه الما، فغسله بالما البارد وعالجه. قال الطبيب وسألني يوسف عن اسمي واهلي فاخبرته فوجدته بهم عارفاً ايام تقلده الكوفة فعجبت من فهمه وقلة اكتراثه بما هو فيه.

ولما وصل الخبر بغداد دخل الناس كآبة[٣] عظيمة وعولوا على الانحدار الى واسط.

ثم ورد (٢١/٣٨) الخبر بان ابا طاهر رحل يوم الثلاثا لاثنتي عشر ليلة خلت من شوال قاصداً عين التمر فاستاجر علي بن عيسى خمسماية ميرية وجعل فيها الف رجل وانفذ بالطيارات والشذآت[٤] وحولها الى الفرات واقعد فيها الحجرية لمنع القرمطي من عبور الفرات وتقدم الى القواد بالمسير الى الانبار لحفظها.

فلما كان يوم الجمعة راى[٥] اهل الانبار خيل ابي طاهر مقبلة في الجانب فقطعوا الجسر وعبر ابو طاهر في ماية رجل، ونشبت الحرب بينه وبين اصحاب السلطان وعقد الجسر وخالف[٦] سواد الذين في السفن الى الجسر فاحرقوه فبقي ابو طاهر في الجانب الشرقي وعسكره وسواده في الغربي وحالت السفن بينهما.

وورد الخبر الى بغداد بقتل ابي طاهر القواد فخرج نصر الحاجب ومعه الحجرية والرجّالة ومن ببغداد من القواد وبين يديه علم[٧] الخلافة ومعه ابو الهيجا [عبدالله][٨] بن حمدان واخوته.

١) في الاصل واستدعا

٢) في تجارب الامم ١٧٥/٥ السبيعي

٣) في الاصل كتابة

٤) في الاصل والشذاءت راجع في الشذآت هذه الزبابات، حبيب معجم المراكب والسفن في الاسلام، المشرق ٦٣/ ٣٢١

٥) في الاصل را

٦) في الاصل اصحاب سواد، ولكن ضرب على اصحاب، وفي تجارب الامم ١٧٦/٥ وعبر وخلف سواده في الجانب الغربي.

٧) وصفه في تجارب الامم ١٧٦/٥ بقوله علم الخلافة وهو شبيه باللواء اسود وعليه كتابة بياض (محمد رسول الله). اه

٨) زيادة عن الكامل ١٨٧/٦ يقتضيها السياق

فاجتمع مع نصر ما يزيد على الاربعين الف رجل فنزل على قنطرة النهر المعروف بزبارا بناحية عقرقوف على فرسخين ولحق به موسى واشار ابو الهيجا على نصر الحاجب وعلى مونس بقطع نهر[١] زبارا ، والح عليه في ذلك فلما راه[٢] متثاقلًا عن قبول رايه قال له ايها الاستاذ اقطعها واقطع لحيتي معها فقطعها حينئذ .

وسار ابو طاهر ومن معه من اصحابه في الجانب الشرقي من الفرات قاصدين نهر زبارا فلما صار على فرسخ واحد من عسكر السلطان اخر يوم الاثنين لعشر خلون من ذي القعدة (٧٢/٣٩) بات موضعه .

وباكر المسير الى القنطرة ، فوجدها مقطوعة ، وتقدم احد رجاله [وكان][٣] اسود يقال له صبح فما زال النشاب ياخذه حتى صار كالقنفذ وهو مقدم فراى القنطرة مقطوعة فرجع .

ولما علم[٤] اصحاب ابي طاهر ان النهر لا نخيض[٥] ، عادوا القهقرى[٦] من غير ان يولوا اظهرهم وعادوا الى الانبار ولم يجسر احد على اتباعهم .

وكان الراي فيما اشار به ابو الهيجا من قطع القنطرة ولولاها لعبر القرمطي غير مستهول لجمع اصحاب السلطان .

وطمع مونس المظفر في سواده وتخليص ابن ابي الساج من اقياده فانفذ بليق[٧] حاجبه وجماعة من القواد ، وستة آلاف[٨] من غلمان يوسف فبلغ ذلك ابا طاهر فانفرد من اصحابه ماشيا وعبر في زورق صياد دفع اليه الف دينار فاجتمع مع قومه فلم يثبت له بليق[٧] ، وبصر [ابو طاهر[٩]] بابن ابي الساج

---

١) في تجارب الامم ١٧٧/٥ بقطع قنطرة نهر زُبارا
٢) في الاصل راه
٣) زيادة يستقيم بها الكلام
٤) في الاصل ولما علم رجع ولكن ضرب على رجع
٥) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ١٧٧/٥ يخيض ، وفي الكامل ١٨٧/٦ لان النهر لم يكن فيه مخاضة
٦) في الاصل القهقرا
٧) في تجارب الامم ١٧٨/٥ يلبق وكذلك في الكامل ١٧٨/٦
٨) في الاصل الاف
٩) زيادة عن الكامل ١٨٨/٦ يقتضيها السياق

وقد خرج من الخيمة لما ناداه غلمانه فقال له القرمطي طمعت في تخليصهم لك وامر به فضربت عنقه واعناق من كان معه من الاسرى[1] .

واحتال ابو طاهر في عبور اصحابه من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي وكان مع ابي طاهر سبعماية فارس ، وثمان ماية راجل .

وتقدم علي بن عيسى الى نازوك بالطوف ببغداد ليلًا ونهارًا لكثرة العيارين واباح دم من ظهر منهم ونقل الناس امتعتهم الى منازلهم خوفًا منهم واكترى وجوه الناس السفن .

وقصد القرمطي هيتا وبها هارون بن غريب وسعيد بن حمدان فقاتلا من علا سورها بالمنجنيقات بعد ان قتلوا من اصحابه عدة (٧٣/٣٩) فسكنت نفوس من ببغداد .

وتصدق المقتدر[2] بماية الف درهم .

وبادر علي بن عيسى الى المقتدر بالله وقال له انما جمع الخلفاء الاموال ليقمعوا بها الاعداء ولم تلحق المسلمين مضرة كهذه من هذا الكافر الذي اوقع بالحاج سنة اثني عشرة وثلاثماية (٩٢٤) ولم يبق في بيت مال الخاصة شي. فاتق الله يا امير المومنين وخاطب السيدة حتى تطلق ما عندها من مال دخرته لشديدة فهذه امها[3] وان لم يكن هناك شي. فالحق خراسان .

فدخل الى السيدة فاعطته خمس ماية الف دينار وكان في بيت مال الخاصة مثلها .

واخبر علي ابن عيسى بحال رجل شيرازي يكاتب القرمطي واتباعه فاحضره فاقر انه من اصحابه لم يتبعه الا لحق رآه[4] معه وقال له لسنا كالرافضة الحمقا الذين يدعون اماما منتظرا وامامنا فلان بن فلان بن اسماعيل بن جعفر فامر به فحبس بعد الضرب فامتنع في حبسه من الطعام والشراب فمات بعد ثلاثة ايام .

١) في الاصل الاسرا

٢) في تجارب الامم ١٨٠/٥ وتصدق المقتدر والسيدة

٣) كذا في الاصل ولعله يريد اوانها

٤) في الاصل رءاه

وكتب القرمطي الى مونس كتاباً في اخره[١] .

قولوا لمونسكم بالراح كن انساً واستنبع الراح سرنايا[٢] ومزمارا
وقد تمثلت عن شوق تقاذف بي بيتاً من الشعر للماضين قد سارا
تزودكم لا نواخذكم بجفونكم ان الكريم اذا لم يستزر زارا
ولا نكون كانتم في تخلفكم من عالج الشوق لم يستبعد الدار

وله اشعار كثيرة ، تركناها لشياعتها .

(٣٠٦/٩٢٨) سنة ست عشرة وثلاثمائة

دخل مونس المظفر بغداد ، وبعده[٣] نصر .

وندب مونس للخروج الى الرقة لما وصل الخبر باستيلاء القرمطي على الرحبة حرباً وقتله اهلها .

ورهبت الاعراب ابا طاهر حتى كانوا يتطايرون عند سماع ذكره وجعل على كل بيت[٤] منهم دينارا[٥] بعد ان نهبهم .

وعاود القرمطي هيتا فلم يقدر عليها فاتى الكوفة وجاء الى قصر ابن هبرة[٦] ، فاخرج اليه نصر فحُم نصر حمى شديدة حادة فسار مع ذلك الى شورا[٧] وبينه وبين القرمطي نهرها .

فاستخلف على الجيش احمد بن كيغلغ وانفذ معه الجيش .

وانصرف القرمطي من غير لقا .

واشتدت علة نصر[٨] ، وجف لسانه من شدة الحمى[٩] فاعيد الى بغداد فمات

---

١) في الاصل ،اخره
٢) عقد ابن سيده في المخصص ١١/١٣ وما بعدها ، فصلا في اسماء الصنج والعود والمزامير . ولم اقف فيه على سرنايا
٣) في تجارب الامم ١٨٢/٥ ودخل بعد نصر
٤) في البداية والنهاية ١٥٧/١١ وفي الكامل ١٩١/٦ ايضا راس
٥) في الكامل ١٩١/٦ وقرر عليهم اتاوة على كل رأس ديناران يحملونه الى هجر وكذلك في البداية والنهاية ١٥٧/١١ ديناران
٦) كذا في الاصل ولعلها هبيرة ، كما هو واضح من السياق
٧) قال البكري في معجم ما استعجم ٩٨/١–٩٩ وحذا أُبلى من غربيها قنة يقال لها الشورة ، فهل الى هذا يقصد ؟
٨) ترجم له في المنتظم ٢٢٠/٦
٩) في الاصل الحما

في الطريق في عمارية[١] فانفذ المقتدر على الجيش هارون بن غريب فدخل بهم بغداد.

واقام علي بن عيسى حين راى[٢] تنكر الامور على الاستعفا من الوزارة والمقتدر يجله ويستوقفه حتى اعفاه[٣].

واستوزر المقتدر ابا علي بن مقلة ضرورة وذلك بمشورة نصر فلما كان في النصف من شهر ربيع الاول انفذ المقتدر هارون بن غريب ومعه ابو جعفر بن شيرزاد للقبض على علي بن عيسى فاستحيى[٤] هارون من تمايه بذلك فانفذ ابا جعفر فوجده مستعداً قد لبس خفا وعمامة وطيلسانا واستصحب مصحفا ومقراضاً وسال هارون صيانة حرمه، ففعل وحمله مع اخيه ابي علي[٥] (٧٥/ب) الى دار السلطان فاعتقله في دار زيدان[٦] القهرمانة[٧] وكانت وزارته هذه سنة واربعة اشهر ويومين.

وزارة ابي علي بن مقلة

وقد كان محمد بن خلف الزماني[٨] بذل في الوزارة ثلاثماية الف دينار فلم تقبل منه لما عرف منه الجهل بالكتابة والتهور في الافعال.

واحضر ابن مقلة يوم الخميس سادس عشر ربيع الاول وقلد الوزارة ووصل الى الخليفة وخلع عليه وحمل اليه طعاما على العادة التي جرت للوزرا اذا خلع عليهم.

ودس نصر الحاجب على علي بن عيسى من[٩] ادعى مكاتبته القرمطي على يده وذلك لعداوة بينه وبينه ولمايلة علي لمونس.

وعزم الخليفة على ضرب علي بن عيسى بالسياط على باب العامة فوقفت السيدة على بطلان الامر فازالت من نفس المقتدر تصديق ذلك وثنته عن رايه في معاقبته.

١) العمارية هودج يجلس فيه اقرب الموارد ٨٢٩/٢

٢) في الاصل راا

٣) اسهب ابن الاثير في الكامل ١٩٢/٦ في صورة هذا العذر

٤) في الاصل استحيا

٥) في تجارب الامم ١٨٥/٥ ابو علي عبد الرحمن

٦) في الاصل ريدان، والتصويب عن الاصول

٧) زاد في تجارب الامم ١٨٥/٥ واعتقل عبد الرحمن عند نصر

٨) كذا في الاصل وفي الاصول النيرماني، وترجم له في اللباب لابن الاثير ٢٥١/٣

٩) في تجارب الامم ١٨٦/٥ ويعرف بالجوهري

واتفق لابن مقلة ما مشى بـه الامور انفاده البريدي له وكان بينهما مودة سفاتجا بثلاثماية الف دينار، وغير ذلك من وجوه اخر .

وتغاير سواس نازوك[1] وسواس هارون بن غريب[2] على غلام امرد فوقع الحرب بينهم فاخذ نازوك سواس هارون وحبسهم فصار اصحاب هـارون الى مجلس الشرطة وضربوا خليفة[3] نازوك واخذوا اصحابه فلم ينكر ذلك المقتدر . فجمع نازوك رجاله وزحف الى دار هارون فقتل من اصحابه قوما ووقعت الحرب فجاء ابن مقلة ومفلح الاسود فاديا رسالة($\frac{٧٦}{٤١}$) اليهما عن المقتدر حتى كفا .

واقام مونس في داره مستوحشاً فاظهر ان ذلك لمرض في ساقه وصار اليه هارون لابسا دراعة فاصطلحا .

واقـام هارون ببستان النجمي، قاصدا للبعد من الفتن فكتب اصحاب مونس اليه وهو بالرقة بان الامر قـد تم لهارون في امرة الامرا، فاسرع الى بغداد ولم ينحدر الى المقتدر .

وصعد[4] اليه الامير ابو العباس[5] والوزير ابو علي[6] فسلما عليه .

وقدم عليه ابو الهيجا من الجبل وقلد احمد بن نصر الحجبة واخذ منه ستين الف دينار وذلك في شهر رمضان وصرف في ذي الحجة .

وقبض ابن مقلة على ابي محمد عبدالله كاتب نصر والزمه خمسين الف دينار

سنة سبع عشرة وثلاثماية

في يوم السبت ثالث[7] المحرم خرج مونس الى باب الشماسية وخرج الجيش معه وعبر اليه نازوك في اصحابه وخرج اليه ابو الهيجا وساير القواد ثم انتقلوا الى المصلى .

---

١) في الاصل بازوك
٢) في البداية والنهاية ١١/١٥٨ وهو ابن خال المقتدر
٣) في تجارب الامم ٥/١٨٧ وهو ابو الجود
٤) في الاصل وصاعد وكذلك في تجارب الامم ٥/١٨٨
٥) في الكامل ٦/١٩٥ ابو العباس بن المقتدر
٦) في الكامل ٦/١٩٥ والوزير ابن مقلة
٧) في تجارب الامم ٥/١٨٩ لثمان

وشحن المقتدر داره بهارون بن غريب واحمد بن كيغلغ والحجرية والرجالة المصافية فلما كان آخر(١) النهار حتى مضوا الى مونس .

وارسل مونس للمقتدر(٢) بان الجيش عاتب بما يصير الى الخدم والحرم ودخولهم في الراي وهم مطالبون باخراجهم عن الدار فاجابه المقتدر برقعة طويلة فيها « امتعني الله بك ولا اخلاني منك ولا اراني سوءا فيك ، تاملت الحال التي خرج اولياؤنا وصنايعنا وشيعتنا اليها وتمسكوا بها (٢٧/٤١) واقاموا عليها فوجدتهم لم يريدوا الا صيانة نفسي وولدي واعزاز امرى وملكي بارك الله عليهم واحسن اليهم واعانني على صالح ما انويه لهم .

واما انت يا ابا الحسن المظفر لاخلونا منك فشيخي وكبيري ومن لا ازول ولا احول عن الميل اليه والتوفر عليه والتحقق به اعترض ما بيننا هذا الحادث او لم يعترض وانتقض هذا الامر الذي لحقنا او لم ينتقض وارجو ان لا تشك في ذلك ان(٣) [صدقت نفسك] وحاسبتها ، وازلت الظنون السيئة عنها ادام الله حراستها .

وما والذي ذكره اصحابنا من امر الحرم والخدم قول اذا تبينوه حق تبينه وتصفحوه حق تصفحه علموا انه قول جاف والبغى فيه علي غير مستتر ولا خاف ولا يثاري موافقتهم واتباعي مصلحتهم(٤) اجبتهم الى المتيسر(٥) في امر هذه الطبقة واتقدم بقبض اقطاعاتهم وحظر(٦) تسويغاتهم ، واخرج من تجوز(٧) اخراجه من داري ولا اطلق للباقين الدخول في تدبيري ورايي واوعز بمكاتبة العمال في استيفاء حق بيت المال من ضياعهم الصحيحة الملك دون ما يقال انـه [قد(٨)] لابسه الريب والشك وانظر لنفسي في امر الخاصة والعامة وابلغ في انصافها والاحسان اليها الغاية .

---

١) في الاصل ،اخر
٢) في الاصل والصواب ما ذكر
٣) بعدها بياض في الاصل والزيادة عن تجارب الامم ١٩٠/٥
٤) في تجارب الامم ١٩٠/٥ مسرتهم ما
٥) في الاصل الميسر والتصويب عن تجارب الامم ١٩٠/٥
٦) في تجارب الامم ١٩٠/٥ حظر
٧) في الاصل تحوز ٧) زيادة عن تجارب الامم ١٩٠/٥ يقتضيها السياق

واما انتم فمعظم نعمكم مني وما كنت لاعود عليكم في شي سمحت به ورايته في وقتـه واراه الان زهيدا في جنب استحقاقكم وانا بتشيره اولى وبتوفيره احرى . ونازوك ، فلست ادرى لاي شي عتب ولا لاي حال استوحش (٧٨/٤٣) واضطرب فما غيرتُ له حالا ولا حزتُ له مالا .

وعبدالله بن حمدان فالذي احفظه صرفه عن الدينور وتهي[١] اعادته اليها ان كان راغبا فيها وما عندي له ولنازوك والعصاة[٢] كلها الا التجاوز والاتقا .

وبعد هذا وقبله فلي في اعناقكم بيعة قد وكدتموها على انفسكم دفعة بعد اخرى[٣] ومن بايعني فانما بايع الله سبحانه ، ومن نكث فانما نكث عهد الله ولي عندكم ايضا نعم واياد وعندكم صنايع وعوارف آمل[٤] ان تعترفوا بها وتلتزموها وتشكروها فان راجعتم هذا الجميل وتلقيتم هذا الخطب الجليل وفرقتم جموعكم ومزقتموها وعدتم الى منازلكم واستوطنتموها كنتم بمنزلة من لم يبرح من موضعه ولم يات بما يعود بتشعث[٥] محله وموقعه وان ابيتم[٦] الا مكاشفة ومخالفة فقد وليتكم ما توليتم واغمدت سيفي عنكم ولجات في نصرتي ومعونتي الى الله سبحانه ولم اسلم الحق الذي جعله الله تعالى[٧] لي واقتديت بعثمان بن عفان رضي الله عنه حين لم يخرج من داره ولم يسلم حقه لما خذله عامة ثقاته وانصاره ، والله تعالى[٧] بصير بالعباد والظالمين بالمرصاد[٨] .

ولما وقف مونس ونازوك وابو الهيجا على الرقعة طالبوه باخراج هـارون فاخرجه من يومه الى الثغور الشامية والجزرية .

وعاد مونس والجيش الى بغداد في يوم عاشورا وزحفوا الى دار السلطـان فهرب المظفر بن ياقوت والخدم والحجاب وابن مقلة .

١) في الاصل تميا
٢) في الاصل والعصات
٣) في الاصل اخرا
٤) في الاصل امل ، والتصويب عن تجارب الامم ١٩١/٥
٥) في الاصل تشبث والتصويب عن تجارب الامم ١٩١/٥
٦) في الاصل انتم والتصويب عن تجارب الامم ١٩٢/٥
٧) في الاصل تعلى
٨) هذه الرسالة ساقطة في الكامل ٢٠٠/٦ الا بعض اشارات وفي المنتظم ذكر منها نتفة .

فاخرج المقتدر والدته وخالته وحرمه ليلا الى دار مونس (٧٩/٤٣) فدخل حينئذ من قطربل الى بغداد مستترا .

واصعد نازوك بغلامه مونس الى دار ابن طاهر ففتح له كافور الموكل بها وسلم اليه محمد بن المعتضد بالله واحرق في طريقه دار هارون .

وبويع محمد بالخلافة بايعه مونس والقواد ولقب القاهر بالله .

واخرج مونس علي بن عيسى من دار السلطان فاطلقه الى منزله .

وقلد ابا علي بن مقلة وزارة القاهر .

وقلد نازوك الحجبة والشرطة .

واضاف الى اعمال ابي الهيجا اعمالا كثيرة ومضى[1] بني بن نفيس بعد ان وقع النهب في دار السلطان الى تربة السيدة بالرصافة فوجد لها هناك ستمائة الف دينار .

واشهد المقتدر على نفسه بالخلع القضاة[2] واخذ القاضي ابو عمر[3] الكتاب فلم يطلع عليه احدا فكان هذا من اقوى ذرايعه عند المقتدر لما عاد الى الخلافة .

وسكن النهب عند ولاية القاهر وجلس ابن مقلة بين يديه وكتب بخلافته الى الافاق .

وتقدم الى نازوك بقلع خيم الرجالة والمنع للحجرية من دخول الدار فاضطربوا .

فلما كان يوم الاثنين سابع عشر المحرم بكر الناس الى دار الخلافة لانه يوم المركب[4] وحضر الخلق والعسكر[5] باسره وطالبوا بالرزق والبيعة .

ولم ينحدر مونس [المظفر][6] يومئذ .

وهجمت الرجالة تريد الصحن التسعيني وكان نازوك نهى اصحابه عن معارضتهم اشفاقاً من الفتنة فقاربوا القاهر بالسلاح وكان جالساً في الرواق بين يديه ابن[7]

١) في الاصل ومضا

٢) في الاصل والقضات

٣) في المنتظم ٢٢٢/٦ وتجارب الامم ١٩٤/٥ ابو عمر محمد بن يوسف

٤) في تجارب الامم ١٩٥/٥ والكامل ٢٠١/٦ الموكب

٥) في الاصل والعسر

٦) زيادة عن الكامل ٢٠١/٦ يقتضيها السياق

٧) في الاصل ابو

مقلة ونازوك وابو الهيجا فانفذ بنازوك ليردهم وهو مخمور قد شرب ليلته فقصدوه بالسلاح فهرب منهم فطمعوا فيه وانتهى[1] بـه الهرب الى باب كان قد سده (خوفا) من الدخول منه فكـنت منيته عنده فقتلوه وصاحوا مقتدر يا منصور .

فهرب كل من في الدار وصلبوا نازوك وعجيبا الخادم على خشب الستارة وبادر الخدم الى ابواب الدار فغلقوها لانهم خدم المقتدر وصنايعه .

وبادر ابو الهيجا الخروج فصاح القاهر به تسلمني يا ابا الهيجا فاخذته الحمية فقال لا والله لا اسلمك وعاد ابو الهيجا ويـده في يد القاهر الى دار السلام وقصد الروشن فوجد الرجالة منتظمين[2] ، فنزل ابو الهيجا معه وقال له وتربة حمدان لافارقتك يا مولاي او اقتل دونك .

ومضى[3] ابو الهيجا الى الفردوس ونزع سواده ومنطقتـه واعطى[4] ذلك غلامه واخذ جبة صوف مصرية عليه وركب دابـة غلامه ، ومضى[3] الى باب النوبى ، فوجد الجيش وراءه وهو مغلق فعاد الى القاهر وقال هـذا امر من السماء قد حمل راس نازوك الى هناك .

ودخلا من حيث خرجا واتيا دار الاترجة وتاخر عنها فايق وجه القصعة واشار عـلى الخدم بقتل ابي الهيجا وذكّرهم عداوته الى المقتدر فاتوه بقسي ودبابيس فجرد سيفه ونزع جبته وحمل عليهم فاجفلوا منه ورموه ضرورة ورماه احد الحجرية بنشابة وهو ينادي يال تغلب القتل[5] بين الحيطان ابن الكميت بن[6] الدهما ، فرماه[7] خمار جونه[8] بسهمين احدهما نظم[9] فخذيه والاخر مال بترقوته فانتزع السهام ومضى[3] الى بيت فسقط فيه قبل ان يصل اليه .

فبادره اسود فضرب يده فقطعها واخذ سيفه وغشيه[10] (...) اسود اخر فحز راسه .

وامتنع المقتدر وهو بدار ابن طاهر من المضي الى دار السلطان وخاف ان تكون حيلة عليه فحملوه على رقابهم الى الطيار .

١) في الاصل واتها
٢) في الاصل منتضين
٣) في الاصل ومضا
٤) في الاصل واعطا
٥) في تجارب الامم ٥/١٩٨ أأقتل
٦) في تجارب الامم ٥/١٩٨ ابن
٧) في الاصل مكررة
٨) في تجارب الامم ٥/١٥٨ خمار جويه بثلاث سهام
٩) في الاصل نضم
١٠) في الاصل وعشيه

فلما حصل في دار الخلافة[١] سال عن ابي الهيجا ، فقيل له هو في دار الاترجة فكتب له امانا بخطه وقال لبعض الخدم ويلك بادر به لا تتم عليه امره .

فلما حصل الخادم في الطريق تلقاه خادم آخر[٢] براسه فعاد الى المقتدر فعزاه عنه فظهرت كآبته[٣] وقال ويلك من قتله فغمزه مفلح الاسود فقال لا ادري فكرر انا لله وانا اليه راجعون وظهر من حزنه عليه امر عظيم .

وكان ابو الهيجا في الشجاعة بمنزلة كبيرة حكت عنه احدى[٤] حظاياه انه كان يواقعها في سفر فجاء السبع الى باب مضربه فجرد سيفه وحمل عليه واتاها براسه وعاد الى الحال التي كان عليها لم تفتر شهوته ولم تكل آلته[٥] .

واتى المقتدر بالقاهر واستدناه وقبل جبينه والقاهر يقول نفسي نفسي يا امير المومنين فقال له لا ذنب لك لانك اكرهت ووحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جرى[٦] عليك سوء مني ابدا فاطمان .

وشهر ببغداد راس نازوك وابي الهيجا ونودي عليهما هذا جزاء من كفر نعمة مولاه .

وعاد ابن مقلة الى الوزارة ، وكتب باعادة الخلافة الى المقتدر .

وحكي ان بدر بن الهيثم القاضي ركب للتهنية برجوع[٧] الخلافة الى المقتدر بالله ، وقال لابن مقلة بين ركبتي هذه وركبة ركبتها مائة سنة لانني ركبت للتعزية بوفاة[٨] المامون سنة سبع عشرة (٨٣٢/٢) ومائتين (٨٣٢) مع ابي وقد ركبت اليوم للتهنية بعود المقتدر سنة سبع عشر وثلاثمائة (٩٢٩) . وتوفي بدر بعد ايام وسنة مائة واثنتا[٩] عشرة سنة .

وجددت البيعة على الناس فاطلق للفرسان زيادة ثلاثة دنانير في الشهر وللرجال زيادة دينار . ونفدت الاموال في عطياتهم حتى بيعت الآلات والكسوة .

واشهد المقتدر بالله على نفسه بتوكيل علي بن العباس النوبختي في بيع

---

١) في الكامل ٢٠٢/٦ قال : الصحن التسعيني اطمأن وقعد
٢) في الاصل اخر
٣) في الاصل كابته
٤) في الاصل احد
٥) في الاصل التة
٦) في الاصل جرا
٧) في الاصل لتهنية رجوع
٨) في الاصل بوفات
٩) في الاصل اثنا

الضياع . وحضر علي بن عيسى فقام اليه ابن مقلة وشاهد البيع فانتهى[١] الى بيع ضياع جبريل والد بختيشوع[٢] وقد بيعت بثمن نزر فقال لا اله الا الله حدثني شيخنا ابو القسم عيسى بن داود يعني اباه ان المتوكل رحمه الله لما غضب على بختيشوع انفذ لاحصا ما في داره فوجد في خزانة كسوته رقعة فيها ثمن ضياعه مبلغ ذلك بضعة عشرة آلاف[٣] الف درهم .

وخلع المقتدر على ابن مقلة وكناه .

وقلد ابا عمر قضاء القضاة[٤] وكتب عهده .

واوقع في هذه السنة القرمطي بالحجيج في المسجد الحرام وقتل امير مكة[٥] وقلع الحجر الاسود وسلب البيت واصعد رجلا من اصحابه ليقلع الميزاب فتردى[٦] فهلك وطرح القتلى بزمزم والقى من بقي في المسجد واخذ الاموال وحمل الحجر الى بلده[٧] .

قال المقتدر قال لي عقيل بن عصام العقيلي بقرية ابروذه من الدجيل حدثني ابي انه راى[٨] ابا طاهر وبين يديه خمسون يضربون الرقاب فقتل من الحجيج نحو عشرة آلاف[٣] (٣٠/٤٤) وهو يقول :

ولو كان هذا البيت بيتا لربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا
وانا تركنا بين زمزم والصفا جنايز لا تبغي سوى كسبها ربا

لعنه الله واتباعه لعنا وبيلا .

واتى اهل مكة على من عندهم من الحاج فقتلوهم وسلبوهم

وقلد ابنا رايق شرطة بغداد مكان نازوك . وورد ياقوت من فارس فخلع المقتدر عليه وعلى ابنه المظفر وولى مكانه نجح[٩] الطولوني بفارس وكرمان .

---

١) في الاصل فانتها
٢) في الاصل بختشوع ، وترجم له القفطي في اخبار العلماء ٩٣ وفي عيون الانباء ١٢٧/١
٣) في الاصل ٠الاف
٤) في الاصل القضات
٥) في تجارب الامم ٢٠١/٥ امير مكة هو ابن محاب
٦) في الاصل فتردا
٧) اسهب ابن كثير في البداية والنهاية ١٦٠/١١ بتأريخ هذا الحدث
٨) في الاصل را١
٩) في الاصل نحح

وعزل ياقوت وجعل الاشراف بها لابن ابي مسلم[١]

وانحدر بعد ذلك مونس الى المقتدر فخلع عليه ونادمه وساله في ام موسى الهاشمية وفي ام دستنبويه فاجيب ووصلت سبعة آلاف[٢] دينار

ورتب علي بن عيسى في المظالم وجعلت الدواوين اليه .

وفيها فتح هارون بن غريب شهرزور وطالبهم بخراج عشرين سنة عصوا فيها وصالحوه على سبعة وثلاثين الف دينار ومايتي الف درهم .

وفيها رتب الحجرية على ابن مقلة وضربوه بالدبابيس فافلت منهم

وفيها ملك اصحاب ما كان الديلمي قاسان .

سنة ثماني عشرة وثلاثماية[٣]

زاد امر الرجال[٤] وكثر تسحبهم وادلالهم بانهم كانوا السبب في عود المقتدر الى داره .

وطالب الفرسان بالمال فاحتج عليهم السلطان بانه يصرف الى الرجال[٤] في كل شهر ماية وثلاثين الف (كذا) دينار .

وركبت الفرسان مع محمد بن ياقوت فطردوهم واوقع بالسودان بباب عمار وحرق دورهم فهربت الرجال الى واسط ورئيسهم[٥] نصر الساجي فغلبوا عليها فانحدر مونس فاوقع بهم فلم ترتفع لهم راية بعد ذلك .

وكان بين محمد بن ياقوت ومونس تباعد ، فلمايلة مونس ابن[٦] مقلة عاداه بالانضمام اليه . وقبض على الوزير سليمان بن الحسن حين عرفت اضافته وكثرت المطالبات له فكانت مدة وزارته سنة وشهرين[٧]

---

١) بعدها في الاصل لفظة صورتها نحر

٢) في الاصل : الاف

٣) يخلط المولف في اخبار هذه السنة اخبار ما بعدها من السنين حتى يصل الى سنة ٣٢١ لهذا صارت اخبار هذه السنة بابًا طويلًا ، وقد اشرنا الى بعض هذه الاخبار في محلها

٤) في الكامل ٢٠٨/٦ الرجالة

٥) في الاصل ورءيسهم

٦) في الاصل بن

٧) هذا الخبر وما يليه ذكر في اخبار سنة ٣١٩ في البداية والنهاية ١٦٦/١١ وفي تجارب الامم ٢١٢/٥

وزارة ابي القسم عبدالله بن محمد الكلوذاني[1]

كانت في يوم الاثنين سابع رجب واقرضه ابن قرابة مايتي الف دينار بربح درهم في كل دينار .

وملك مرداويج[2] الجبل باسره الى حلوان وانهزم هارون بن غريب الى دير العاقول .

واستأمن يشكرى الديلمي الى هارون وهو من اصحاب اسفار وانهزم بانهزامه .

وصادر لشكرا[3] اهل نهاوند في اسبوع على ثلاثة آلاف[4] الف درهم ، وانبث[5] الاخبار .

وصادر اهل الكرج وملك اصبهان وكان بها احمد بن كيغلغ فخرج هارباً في ثلاثين نفسا .

فكان لاحمد من الاتفاق العجيب ان لشكرى تبعه الى قرية فعاون اهلها احمد وتقارب احمد ولشكرى فضربه احمد ضربة قدت مغفره وخوذته ونزلت في راسه فقتلته وانهزم اصحابه وسن احمد يوميذ سبعون ($\frac{٨٠}{٧٥}$) سنة .

وركب الكلوذاني في طياره فرجمه قوم من الجند طلبوا ارزاقهم فجعل ذلك سبيا لاغلاق بابه وولي بعده الحسين بن القسم الكرخي .

وزارة الكرخي

كان ببغداد رجل يعرف بالدانيالي يظهر كتبا عتقا وينسبها الى دانيال النبي عليه السلام ويودع تلك الكتب اسماء قوم[6] وحلاهم فاستوى جاهه وقامت سوقه بين اهل الدولة وعند القاضي ابي عمر وابنه[7]

١) في الكامل ٢١٣/٦ وردت اخبار هذه الوزارة في جملة اخبار ٣١٩

٢) في الكامل ٢١٤/٦ مرداويج براء مهملة .

٣) في الكامل ٢١٤/٦ لشكرى

٤) في الاصل ٣٠الاف

٥) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٢١٤/٥ واثبت جندا

٦) في الكامل ٢١٤/٦ اقوام

٧) في تجارب الامم ٢١٥/٥ وابنه ابي الحسين

وذكر المفلح[١] الاسود انه من ولد جعفر ابن ابي طالب فنفق بذلك عليه واخذ منه مالا كثيرا واشار عليه ابن زنجا باثبات صفة الحسين بن القسم وذكر الجدري الذي في وجهه والعلامات[٢] التي في شفته العليا فكتب ذلك وانه ان وزر للثامن[٣] عشر من ولد العباس استقامت اموره فعمل دفترا وذكر ذلك في تضاعيفه وعتقه في التبن وجعله تحت خفه ومشى عليه حتى اصفر وعتق.

قال ابن زنجي فلولا معرفتي من عمله له لم اشك في انه قديم وحمله الى مفلح فعرضه على المقتدر فقال له اتعرف[٤] هذه الصفة لمن قال لا اعرفها الا للحسين بن القسم قال فاستدعه وشاوره.

قال ابن زنجي ثم ان الدانيالي طالبني بالمكافأة[٥] فقلت حتى يتم الامر.

فلما ولي الحسين الوزارة ولاه الحسبة واجرى له مائتي دينار في الشهر.

وسعى له بليق[٦] في الوزارة وتقلدها يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان، فتشاغل[٧] (٣١٩) عن الجلوس بالتهنئة لجمع الاموال التي يحتاج اليها في نفقة العيد. وصار اليه علي بن عيسى وهناه.

وكانت دمه[٨] تعنى بامر الحسين فكانت توصل رقاعه وكانت حظية[٩] عند المقتدر فكان يخدمها ويخدم ابنها الامير ابا احمد اسحاق في كل يوم بمائة دينار.

واختص به بنو[١٠] البريدي وابو[١٠] بكر بن قرابة واقرضه اموالا بربح درهم في الدينار.

واختص به جعفر بن ورقا فقلد ابا عبدالله محمد بن خلف النيرماني[١١] اعمال

---

١) في تجارب الامم ٢١٥/٥ وغلب على مفلح وعرفه انه . . .
٢) في تجارب الامم ٢١٥/٥ والعلامة
٣) في تجارب الامم ٢١٥/٥ للثاني عشر
٤) في الاصل تعرف
٥) في الاصل بالمكافات
٦) في الكامل ٢١٦/٦ بليق وفي التنبيه والاشراف ٣٣٢ كذلك
٧) تكررت في الاصل في صدر الصفحة التالية
٨) كذا في الاصل دمه بدون اعجام وهو يريد دمنه
٩) في الاصل حضية
١٠) في الاصل بنوا وابوا
١١) ترجم له في اللباب لابن الاثير ٢٥١/٣

الحرب والخراج والضياع بحلوان وغيرها من ماء الكوفة ولبس القبا والسيف والمنطقة وتسمى بالامارة .

وسال في اخراج علي بن عيسى الى مصر فدافع عنه مونس وقال انه شيخ نرجع[1] الى رايه حتى احدره الى الصافية .

وابتدا مونس في الاستيحاش .

وبلغ الحسين ان مونسا علي كبسه ليلا فكان ينتقل في كل ليلة الى مكان خوفا منه .

وراسل مونس المقتدر في صرف الحسين عن الوزارة فاجابه .

وسعى الحسين بمونس وقال المقتدر انه قد عزم على ان يخرج الامير ابا العباس الى الشام ويقرر له الخلافة .

وكتب الحسين الى هارون بن غريب وهو بدير العاقول يامره بالمبادرة[2] فاستوحش مونس واظهر الغضب وسار في اصحابه الى الموصل ..

وجا بشرى[3] خادم شفيع برسالة الى المقتدر فشتمه الحسين وشتم صاحبه وضربه بالمقارع واخذ خطه بثلاثماية الف دينار .

ووقع الحسين بقبض املاك مونس وضياع اسبابه وافرد له ديوانا سماه ديوان المخالفين (٨٧/٦٦) وزاد محل الحسين من المقتدر فكان ينفذ له الطعام من بين يديه ولقبه عميد الدولة وامر بذكر لقبه على الدنانير .

وقلد ابا يوسف محمد بن يعقوب البريدي[4] البصرة والقيام بنفقتها[5] فتقدم الى الكتاب باخراج خراج البصرة فاخرجوه من صلاة الفجر الى عتمة يومه فاحضر البريدي ووافقه على ذلك واخذ خطه بالقيام بمال الاوليا بالبصرة وان ترتب لحفظ السور زيادة على من عليه الف رجل وان يحمل بعد النفقات سبعين الف دينار . وحمل الخط الى الوزير متبجحا به فلم يقع من الوزير بموقع وظن انه وبخه بذلك .

---

١) في الاصل برجع

٢) في تجارب الامم ٢٢٢/٥ بالمبادرة الى الحضرة

٣) في البداية والنهاية ١٦٨/١١ يسرى

٤) في الكامل ٢١٩/٦ وتجارب الامم ٢٢٣/٥ ابو يوسف يعقوب بن محمد البريدي

٥) في الاصل بنفقتها

وعرف المقتدر فوقع موقعه عنده وغلظ على الحسين ، فخافه[١] الفضل بن جعفر فاستتر منه عند ابن قرابة فقلد الحسين الديوان ابا القاسم الكلوذاني .

وجد ابو الفتح في طلب الوزارة .

وصودر ابن مقلة عند بعد مونس عن مايتي الف دينار .

واراد الحسين مصادرة علي بن عيسى وهو بالصافية مقيم فمنع منه هارون بن غريب وكان بدير العاقول .

ووصل هارون الى دار السلطان فلقي المقتدر وساله في ابن مقلة فحط عنه خمسين الف دينار فانصرف الى داره .

فقصده الوزير وابنا رايق ومحمد بن ياقوت ومفلح وشفيع .

واخذ ابن مقلة في استماحة الناس ففضل له عن الذي صودر عليه عشرون الف دينار فابتاع بها ضياعا وقفها على الطالبين وكان ابتاعها باسم عبدالله بن علي المقرى[٢] .

وقبض المقتدر على ابي احمد بن المكتفي ومحمد بن المعتضد (٨٨/٤٧) فاعتمدت السيدة مراعاة[٣] محمد واهدت اليه الجواري[٤] وراعته في نفقته واعتقلا بدار السلطان واشتدت الاضاقة بالحسين فباع ضياعاً بجماعة الف دينار واستسلف من مال سنة عشرين وثلاثماية (٩٣٢) قبل افتتاحها فاخبر هارون[٥] حالة المقتدر فكتب للخصيبي اماناً فظهر فخوطب بالوزارة فذكر ان الحسين استسلف من مال سنة عشرين قطعة[٦] وافرة ، وانه لا يغر السلطان من نفسه فولاه ديوان الازمة واجرى له ولكتابه الف دينار وسبعماية دينار في كل شهر .

واقر الحسين على الوزارة وخلع عليه لزول الارجاف عنه .

واجتمع الحسين والخصيبي فاخذ الحسين يماتره[٧] والخصيبي تمسك فلما بلغ

---

١) في الاصل بخافة
٢) في تجارب الامم ٥/٢٣٥ النقري
٣) في الاصل مراعات
٤) في الاصل الجوار
٥) في تجارب الامم ٥/٢٢٦ هارون بن غريب
٦) في الاصل قصنة والتصويب عن تجارب الامم ٥/٢٢٦
٧) يعنى تجنب ، قال في اقرب الموارد تمتر تجنب الناس

ذلك المقتدر انحل امر الحسين عنده فقبض عليه فكانت وزارته سبعة اشهر .

وزارة ابي الفتح الفضل بن جعفر

خلع عليه لليلتين بقيتا من شهر ربيع الاخر .

وصادر الحسين في نوب اخذ منه في احدها اربعين الف دينار ثم ابعده الى البصرة واقام له في كل شهر خمسة آلاف[١] درهم .

وانفذ مزداويج[٢] رسولا يسال ان يقاطع عن الاعمال فاجيب وتكفل هارون بن غريب بامره وكتب له العهد وانفذ اليه اللوا والخلع، ومشّى الوزير ابو الفتح الامور بماية الف دينار الزمت للبريدي . ونفى[٣] ابن مقلة الى شيراز .

ومات ابو عمر القاضي، فاغرى[٤] ابو بكر بن قرابة بورثته وقال للمقتدر ها هنا من (٨٥/٤٧) يعطي ماية الف دينار لقضا القضاة[٥] .

فانفذ المقتدر بكاتب الى ابي الحسين معه وعرفه الحال فاتوه وهو في العزا فامسكوه فقال ابن قرابة ما لهذا حضرنا قم معنا حتى نخلو فنهض واستوفى عليه ابن قرابة الخطاب، فقال ابن[٦] الحسين انّ نعمنا من امير المومنين واساله ان يمهلنا يومه .

فلما كان بالعشي، وكان شهر رمضان، مضى[٧] الى دار ابن قرابة فدخل والمايدة بين يديه وعنده البريديون فاكل قاصدا لاستكفا. شره وقال قد جيتك مستسلماً اليك وتدبرني بما ترى[٨] .

وقرب منه البريديون[٩] وقالوا متوجعين له عندنا ثلاثة الاف[١٠] دينار نعينك بها . واستصوبوا قصده لابن قرابة فقال له ابن قرابة امض مصاحبا، وتعطف

١) في الاصل ٠ الاف
٢) في الاصل مزداوج
٣) في الاصل ونفا
٤) في الاصل فاغرا .
٥) في الاصل القضات
٦) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٢٢٩/٥ ابو وهو الصواب
٧) في الاصل مضا
٨) في الاصل ترا
٩) في الاصل البريدون
١٠) في الاصل ٠الاف

عليه [المقتدر بالله وعاونه[١]] البريديون واخوانه فقلده قضاء القضاة[٢] .

ووصف المقتدر لابن قرابة ما هو فيه من الاضاقة فقال له لم لا يعاونك ابن خالك هارون بن غريب وعنده ازاج[٣] مملوءة دنانير فقال هارون لو كنت املك شيئا لما بخلت به عن امير المومنين لان سلامتي معقودة بسلامته ولكن[٤] مع ابن قرابة من المال ما لا يحتاج اليه وانا استخرج لك منه خمس ماية الف دينار فقال اذهب فتسلمه فقبض عليه وجرى[٥] عليه من المكروه ما اشفى به عن التلف حتى قتل المقتدر بالله فخلص .

وحكى ابن سنان ان ابن قرابة كان صديقا لابيه فدخل عليه بعد ما صودر فقال له خلطت حتى صودرت وقد حصل لي الان ما يرتفع منه عشرون الف دينار في السنة (٣٠٩/٩٢٨) خالصة لي ولي من الاملاك ما ليس لاحد مثله ومن الالات والفرش والمخروط والصيني والجوهر ما ليس لاحد وكذلك من الرقيق والخدم والغلمان والكراع ومعي ثلاثماية الف دينار صامت لا احتاج اليها وبيني وبين ابن مقلة مودة وهو مقدم من فارس وزيرا فهل ترى[٦] لي ترك التخليط ولزوم رب النعمة واصلاحها .

فقال له سنان[٧] ما رايت اعجب من امرك انا يسال عن الامر الخفي واما عن الواضح الجلي فكلا وبعد اعتقك فايدة واثرك صلاحا فلازمه والا فكف عنه وايضاً فان الانسان يكد ليحصل له بعض ما حصل لك وقد اتاك هذا وادعاً ، فاشكر الله وتمتع بنعمتك التي انعم الله سبحانه بها عليك فقال صدقت ونصحت ولكن لي نفس مشومة لا تصبر ، وساعاود ما كنت فيه .

---

١) بعدها بياض في الاصل ، والزيادة عن تجارب الامم ٢٣٠/٥

٢) في الاصل القضات

٣) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٢٣٠/٥ آزاج والآزاج جمع أزج وهو البيت يبنى طولا اقرب الموارد ١٠/١

٤) في الاصل ولاكن

٥) في الاصل وجرا

٦) في الاصل ترا

٧) لقد اسهب في تجارب الامم ٢٣١/٥–٢٣٢ فليراجع

فلما خرج ابن سنان من عنده قال لا يموت ابن قرابة الا فقيرا او مقتولا.

ولما ورد مونس وكان هارون بن غريب قد وكل به غلمان وقيده وامرهم باخراجه الى واسط فقتل المقتدر بالله رحمه الله في ذلك اليوم فهرب الموكلون به وبقي معه خادمان وكان ابن قرابة اشتراهما لهارون فتعطفا عليه وصارا به الى الفرضه[1] وادخلاه مسجدا بها واحضروا حدادا فكسر قيوده ومشى الى منزله بسويقة[2] غالب ووهبا له خمسماية دينار .

ثم اداه التخليط الى ان قبض عليه القاهر فازال نعمتـه وقبض املاكه وهدمت داره واراد قتله فزال امر القاهر فعاد الى تخليطه .

ومضى[3] الى البريدي[4] (٩١/٤٨) لما خالفوا السلطان .

ومضى[3] الى معز الدولة من نهر ديالي وصودر حتى لم يبقَ له بقية واضطر الى ان خدم ناصر الدولة في كل شهر بماية دينار وكان ينفق امثالها ومات بالموصل .

وفي ذي الحجة من هذه السنة عقد المقتدر لابي العلا سعيد بن حمدان على الموصل وديار ربيعة .

وفي هذه السنة توفي ابو القسم البلخي المتكلم[5] صاحب المقالات والتفسير ببلخ .

وفي سنة عشرين وثلاثماية (٩٣٢) كاتب الحسين بن القسم، داود وسعيد ابني[6] حمدان والحسن[7] بن عبدالله بن حمدان بمحاربة مونس فامتنع داود من لقاء مونس لانه لم يزل محسنا اليه فما زال به اهله حتى لقيه وقال هذه تفسل ما فعله الحسين بن حمدان وابو الهيجا فكان يقول والله اني اخاف ان يجي سهم نجار فيقع في حلقي فيقتلني فكان حاله كذلك قتل وحده بسهم .

وكان بنو حمدان في ثلاثين الفا ومونس في ثمانماية رجل فانهزموا وتعجب

---

١) البكري ، معجم ما استعجم ١٢١١/٦ فرضة نعم ، في شق الفرات البري
٢) في الاصل لسويقه
٣) في الاصل ومضا
٤) في تجارب الامم ٢٣٢/٥ البريديين
٥) ترجم له في البداية والنهاية ١٦٤/١١
٦) في الاصل بني
٧) في الكامل ٢٢٠/٦ والى ابن اخيها ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان

مونس من محاربة داود له وكان يقول يا قوم في حجري ختن ولي عليه من الحقوق ما ليس لابيه .

وملك مونس اموال بني حمدان واستولى على الموصل وكثر خروج الناس اليه. ولما اقام بها تسعة اشهر حمله من خرج اليه على الانحدار الى الحضرة وبلغ الجند بها انحداره فشغبوا وطالبوا بارزاقهم فاطلق لهم المقتدر ذلك واخرج مضرب الدم الى باب الشماسية .

وتراجعت طلايع المقتدر وبها سعيد بن حمدان ومحمد بن ياقوت ومونس الورقاني[1] .

واجتهد المقتدر بهارون (٩٣/٤٩) ان يخرج للحرب .

وجاء محمد بن ياقوت والوزير الفضل بن جعفر الى المقتدر ومعهما ابن رايق ومفلح وقالوا ان الرجال لا تقاتل الا بالمال . وسالوه في مايتي الف دينار من جهته وجهة والدته فقال ليس الى ذلك وجه وتقدم باصلاح [الشذاات والطيارات لينحدر][2] هو وحرمه الى واسط فقال له محمد بن ياقوت اتق الله يا امير المؤمنين ولا تسلم بغداد بغير حرب وان رجال مونس ان راوك احجموا عن القتال فقال له انت والله رسول ابليس .

وركب المقتدر ومعه هارون بن غريب ومحمد بن ياقوت وساير القواد وعليه البردة وبيده القضيب وبين يديه ابنه الامير ابو علي والانصار حافون به معهم المصاحف منشورة والقرا يقراون[3] القران وكثر الدعا له واصعد الى الشماسية ووقف على موضع عال .

واشتبكت الحرب ومونس بالراشدية لم يحضرها وثبت هارون ومحمد[4] وصار ابو العلا سعيد بن حمدان برسالتها الى المقتدر يسئلانه الحضور ليشاهده اصحاب مونس فيستامنون فلم يجبه .

---

١) في تجارب الامم ٥/٢٣٤ الورقاني

٢) في الاصل بعدها بياض والزيادة عن تجارب الامم ٥/٢٣٥

٣) في الاصل يقرءون

٤) في تجارب الامم ٥/٢٣٥ محمد بن ياقوت وهارون بن غريب

وتتابعت رسلها حتى كان اخرهم[١] محمد بن احمد القراريطي ، كاتب هارون[٢] وهو لا يجيبهم ووقف على ظهر دابته ووراءه الوزير ابو الفتح ومفلح وخواص غلمانه فلما الحوا عليه وقالوا ان الغلمان يوثرون روية امير المومنين .

فمضى[٣] حينئذ كارها المضي ومعه مفلح وتخلف عنه الوزير فلما قارب دجلة انهزم اصحابه قبل وصولهم واستوسر احمد بن كيغلغ وجماعة القواد وآخر[٤] من ثبت محمد بن ياقوت .

ولقي المقتدر علي (٩٣/٤٩) ابن بليق[٥] فترجل له وقبل الارض بين يديه ، ووافى البربر من اصحاب مونس فاحاطوا بالمقتدر وضربه رجل منهم ضربة فسقط منها وقال ويحكم اني الخليفة فقالوا فلك نطلب واضجعوه وذبحه احدهم بالسيف وطرح احد اصحابه نفسه عليه فذبح ايضاً . ورفع[٦] راسه على خشبة وسلب ثيابه حتى مر به اكار فستره بحشيش وحفر له ودفنه وعفى[٧] اثره[٨] .

ونزل علي بن بليق[٥] وابوه في المضارب وانفذ الى دار السلطان من يحفظها .

وانحدر مونس الى الشماسية فبات بها .

ومضى[٩] عبد الواحد بن المقتدر ومفلح وهارون ومحمد[١٠] وابنا رائق على ظهر خيولهم الى المداين .

وكان ما فعله مونس من ضرب وجه المقتدر بالسيف سببا لجراة الاعداء على الخلفا .

١) في الاصل ءاخرهم
٢) في تجارب الامم ٢٣٦/٥ محمد بن ياقوت
٣) في الاصل فضا
٤) في الاصل وءاخر
٥) في تجارب الامم ٢٣٧/٥ نزل بليق وعلي ابنه
٦) في تجارب الامم ٢٣٧/٥ ووقع
٧) في الاصل وعفا
٨) في البداية والنهاية ١٦٨/١١ وما بعدها صورة اخرى لمقتل المقتدر بالله، انما خلاصتها كما هو مذكور اعلاه ، وترجم للمقتدر في المنتظم ٢٤٣/٦ في جملة اخبار ٣٢٠ وفي تجارب الامم ٢٣٧/٥
٩) في الاصل ومضا
١٠) في الكامل ٢٣١/٦ وهرون بن غريب ومحمد بن ياقوت

وكانت مدة وزارة ابي الفتح لامير المومنين المقتدر بالله رحمه الله خمسة اشهر وعشرين يوما .

ولما حمل راس المقتدر الى مونس بكى[١] ، وقال والله لنُقتلن كلنا والصواب ان نرتب مكانه ابنه ابا العباس فتنخو نفس جدته السيدة باخراج المال .

فثنى[٢] رايهم ابو يعقوب اسحاق بن يعقوب[٣] النوبختي[٤] وقال الصواب ان تولوا القاهر محمد بن المعتضد بالله مقدرا استقامة امره معه فكان الامر على خلاف ما حسب .

خلافة القاهر بالله ابو منصور بن المعتضد[٥]

كانت سنة وستة اشهر وخمسة ايام .

امه تسمى قبول .

وسبب (٩٦/٥٠) خلافته انه حمل الى مونس محمد بن المكتفي بالله فخاطبه في تولي الخلافة فامتنع وقال عمي احق بالامر فخاطب عمه القاهر فاجاب وحلف لمونس والقواد وبايعوه وبايعه القضاة[٦] وذلك سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال .

واشار مونس ان يستوزر له علي بن عيسى فقال بليق[٧] وابنه علي الحال الحاضرة لا يقتضي ذلك لانها تحتاج الى سمح الكف واسع الاخلاق وابن مقلة[٨] .

فرضي مونس بذلك واستخلفوا له الكلوذاني وكتبوا الى ياقوت بحمله[٩] عاجلا .

---

١) في الاصل بكا
٢) في الاصل فثنا
٣) في تجارب الامم ٢٤٢/٥ بن اسماعيل
٤) نسبة في الكامل ٢٢٢/٦ ابو يعقوب اسحق بن اسماعيل النوبختي
٥) ذكرها في المنتظم ٢٤٤/٦ في جملة اخبار ٣٢٠
٦) في الاصل القضات
٧) في الكامل ٢٢٢/٦ وصلة عريب يلبق
٨) بعدها بياض في الاصل وفي تجارب الامم ٢٤٢/٥ فاشار بابي علي بن مقلة وبان يستخلف له الى ان يقدم من فارس ابو القاسم الكلوذاني
٩) في الاصل بدون اعجام

وانحدر القاهر الى دار الخلافة واستدعى[1] مونس بعلي بن عيسى من الصافية فاوصله الى القاهر فخاطبه بكل جميل .

وكانت والدة المقتدر في علة عظيمة من فساد مزاج واستسقا ولما وقفت على حال ابنها فامتنعت من الاكل حتى كادت تتلف فرفق بها حتى اغتذت بيسير من خبز[2] وملح[3] فاحضرها القاهر وقررها بالمال باللين تارة وبالخشونة اخرى فقالت لو كان عندي مال ما اسلمت ولدي للقتل وتجرعت بفراقه الثكل ومالي غير صناديق فيها صياغات وثياب وطيب[4]

فعلقها في حبل البرادة[5] بفرد رجلها ، وتناولها بالضرب بيده في المواضع الغامضة من بدنها ولم يذكر احسانها اليه وقت اعتقال المقتدر اياه . وضربها اكثر من ماية مقرعة .

ولما اوقع المكروه بها لم يجد زيادة على ما اعترفت به طوعا واخذ ما وجد لها فاذا هي[6] صناديق فيها ما قيمته ماية الف وثلاثون الف دينار وتماثيل كافور قيمتها (؟) ثلاثماية الف درهم .

فرفع ذلك الى الكلوذاني وبليق وامرهما بحمله الى مونس ليصرف في مال البيعة .

وصودر جميع اسباب المقتدر .

وصار الفضل بن جعفر على عشرين الف دينار فقال مونس انا اوديها عنه .

وحل القاهر ما وقفته السيدة على الحرمين والثغور واشترى ذلك اصحاب مونس بخمسماية الف دينار .

---

١) في الاصل واستدعا

٢) في الاصل خبر

٣) في تجارب الامم ٥/٢٤٣ والمسح

٤) قال في البداية والنهاية ١١/١٧١ فذكرت له ما يكون للنساء من الحلي والمصاغ والثياب ولم تقر بشي من الاموال والجواهر

٥) قال في اقرب الموارد البرّادة اناء يبرد الماء

٦) في الاصل ما

وزارة ابن مقلة

وقدم ابن مقلة[١] من شيراز يوم النحر واختار لنفسه لقاء القاهر ليلا بطالع الجدي وقال فيه احد السعدين وخلع عليه من الغد خلع الوزارة وصار الى دار مونس المظفر فسلم عليه وانصرف الى داره .

وحضر الناس للتهنية واتاه علي بن عيسى فلم يقم له فاستقبح الناس فعله وصار اليه ابن قرابة[٢] وعاود تخليطه .

وظهرت دمنه والدة الامير اسحاق بامان كتبه القاهر لها وبذلت عن ولدها عشرين الف دينار ووجد اولاد المقتدر في دار علي بن بليق[٣]

وظهر شفيع المقتدري بامان وقرر عليه خمسون الف دينار وكان مملوكا لمونس فحلف ان لا بد من بيعه فنودي عليه فبلغ ثمنه سبعين دينارا فابتاعه الكلوذاني باسم القاهر وشهد الشهود في العهد .

---

١) في تجارب الامم ٥/٢٤٥ ابو علي بن مقلة

٢) في تجارب الامم ٥/٢٤٦ ابو بكر بن قرابه

٣) في الكامل ٦/٢٢٣ يلبق ، وقال في البداية والنهاية ١١/١٧١ ثم استدعى القاهر بجماعة من اولاد المقتدر منهم ابو العباس وهارون والعباس وعلي والفضل وابراهيم فامر بمصادرتهم وحبسهم وسلمهم الى حاجبه علي بن يلبق .

ابن الله الوحيد

بقلم الاب جوزف بونسرڤن اليسوعي

كل اعمال يسوع وكل اقواله مرتبطة بمعرفته لذاته الفردية وبالنتيجة لشخصيته الخفية الواحدة؛ وهذه المعرفة الذاتية لم تكن على ضلال . فكيف يمكننا الولوج الى خفايا ذلك الوجدان واين هو السبيل ؟ على ان هناك بعضاً من احاديث يسوع تعكس مباشرة تلك المعرفة لشخصه الفردي . وماكانت تلك الاحاديث وتلك الاعمال في ابتدا. رسالته الا إعدادًا وتهذيباً لرسله لكي يصبحوا فيما بعد قديرين على فهم كلمات الوحي الذي انزله ، قديرين ايضاً على حفظها والتعمق في مكنوناتها . ولهذا فان افضل طريقة ننتهجها هي ان نتتبع هذا التدرّج البطيء الصاعد الذي سيدخلنا الى اعماق سر الله .

ابن الانسان [1]

لقد جاء يسوع لكي يحقق آمال اسرائيل ،وذروة هذه الآمال هي مملكة المسيح المرجوّة . لقد جاء « ليكمل » اعني ليحقق هذه الفكرة بالنوع الاسمى اي حسب ارادة الله ؛ وهكذا سيكون وسيط الحياة الالهية ، الامر الذي يستحيل الّا على ابن الله . فكيف يمكنه ان يحمل الناس على قبول هذا الوحي المزدوج الذي سيخيب الآمال ويلقي الضعضعة والشك في النفوس ؟ ولهذا اراد يسوع ألّا يكشف القناع عن هذا السر قبل إعداد طويل لقبوله . اما الآن فانه يدل على نفسه بتعبير خفي : ابن الانسان . وهذا التعبير ان هو الا اطار فارغ يدعو التلاميذ خفيةً الى استجلاء معانيه شيئاً فشيئاً .

ولنلاحظ ان يسوع هو وحده يدعو ذاته بهذا الاسم ، وذلك قبل قيامته ، ولذلك فان مسيحي العصور الاولى اعرضوا عن هذا الاسم لان ما من حاجة بعد اليه . ولنلاحظ ثانياً ان هذا اللقب الذي يورده يوحنا وباقي الانجيليين ،

يتلفظ به يسوع في احاديث يذكرها سواء الانجيليون الثلاثة الاولون الا القليل منها ، فيثبتون بذلك انهم يأخذون عن تقاليد قديمة مدونة هي ايضاً مودعة في نصوص ترقى الى فجر النصرانية . وعلينا ان نلاحظ ثالثاً ان يسوع يستعمل هذا التعبير الغريب الذي استنبطه هو ذاته على الارجح ، لكي يبين مدى معناه الوحيد : يقال في العبرانية « ابن آدم » وفي الارامية : « بر - إنش » كمرادف للفظة انسان (آدم ، إنش) ويُعبر عن الكلمة ذاتها باليونانية بلفظتين (إيّوس أنثروبو) ولكن في الاناجيل نجد دائماً (او إيّوس تون انثروبو) وقد وضعت علامة التعريف قبل اللفظتين ، وهذه غرابة لغوية ، كما يقول (Dupont) . ألا يجب ان نفترض بان العبارة الارامية الاصلية التي حفظها التقليد كانت ايضاً شبيهة من حيث الغرابة بالتي نجدها في الترجمة السريانية للاناجيل ؟

ان هذا الواقع يحملنا نفرض ان استعمال يسوع لهذه اللفظة لن يشرح بسوابقها من الالفاظ . واننا نحجم عن تتبع آثار الانسان الاصلي او آدم الاول في كلماته الاولى ، فليس لنا في هذا مخرج نرضى عنه ، فلنبق اذاً في حقل التوراة وفي العالم اليهودي . ان لفظة « ابن الانسان » في « العهد القديم » مرادفة للفظة « انسان » (مز ٨ ، ٥) وهي تورد غالباً وخصوصاً في حزقيال ، وبها اراد الله ان يعرّف النبيّ ضعفه وصغره . ونجدها بعدئذ في احدى رؤى دانيال (٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٧) . فبعد إبادة الحيوانات ، التي تمثل الممالك الاربع الظالمة ، يرى النبي الملهم شبه « ابن انسان » آتياً على السحب نحو الله الذي يعطيه سلطاناً ابدياً وملكاً لا ينقرض . وهذا الشخص يمثل « قديسي العلي الذين يملكون الى الابد » . وهناك تقليد آخر يجعله رسماً للمسيح ، وهذا التقليد الذي يظهر في كتاب امثال اخنوخ يرقى الى ما قبل المسيح ، وفي هذه الامثال نلقى المسيح مرات عديدة في ملامح « ابن انسان » ، وهو شخص فوق الطبيعة يندمج « بالقديم الايام » وينعم بامتيازات تكاد تكون الهية .[٥] وهذا الكائن العجيب يظهر ايضاً في كتاب عزرا الرابع : انه ، كما يقولون لنا ، المسيح الموجود من قبل ، الذي حفظه العلي لتلك الايام[٦] . ويمكننا الاعتقاد بان هذه اللفظة كانت مستعملة في بعض الاوساط اليهودية للدلالة على مسيح فائق . ولكن اليهود لم يكونوا جميعهم

يقرأون الكتب المظنون في صحتها ، وهذا ما يشرح لنا السبب الذي لاجله سألت الجموع يسوع يوماً : « من هو ابن البشر هذا ؟ (يوحنا ١٢ : ٣٤) .

اما يسوع ذاته فكيف كان يفهم هذا اللقب وماذا يعني به ؟ أتراه كان يعود به مباشرةً الى سفر دانيال ؟ يظهر ذلك من جوابه لرئيس الكهنة[٧] (مرقس ١٤ : ٦٢) فان لنا في هذا الجواب مظهراً من الافكار والاعتقادات التي كانت توحيها هذه اللفظة : اي نصر ابن الله النهائي ورجوعه بالمجد وحكمه في الدينونة[٨] . وبالجملة كل مزاياه وصفاته الفائقة . وفي الجواب ذاته مظهر آخر مضادٌ للفكرة الاولى اوحته اللفظة ذاتها ؟ اعني عندما قال يسوع : على ابن الانسان ان يتألم قبل دخول مجده[٩] . فهل من علاقة بين هذين المظهرين المتناقضين؟ نستطيع ان نجد هذه العلاقة ، وان لم يكن من اشارة واضحة اليها ، في آيات اشعيا (٥٢ : ١٣ — ٥٣ : ١٢) حيث يتكلم النبي عن خادم يهوه الذي استحق بآلامه التكفيرية ان يحظى بمجد الهي . وهكذا نرى ان تلك اللفظة الخفية : ابن الانسان تجمع بين ناحيتي رسالة المسيح الحقيقية وتعلنها ؛ وهذا ما تراجع امامه التفكير اليهودي . ولكن هل نستطيع ان نزيد ، مع كثير من القدماء ومع بعض المحدثين ، ان تلك اللفظة تحتوي على معنى « داخلي » يدلّ على ان يسوع اتخذ بشريتنا وحمل معاصي كل اخوانه البشريين[١٠] ؟ انها لمغامرة ان نؤكد هذا الزعم تأكيداً راهناً . ولكن لا بد من القول ، مع التحفظ ان لفظة « ابن الانسان » تنادي لفظة « ابن الله » . وانه لمن العبث ان نجادل في نظريتين قد بطلتا . يسوع حين لقب نفسه بابن الانسان كان يريد فقط ان يشير الى نفسه كانسان[١١] — وهو لم يتخذ ابداً هذا اللقب لذاته ، لانه لم يُصدَّق ابداً انه المسيح ولم يُعلن كمسيح . فهم جماعة النصارى الذين اوجدوا هذه التسمية[١٢] .

« ابن الانسان » : ان الحاح يسوع في اتخاذ هذا اللقب الكثير المعاني والخصائص كان لا بدّ من ان يدفع العقول الفطنة الى التفكير والتساؤل : من هو اذاً ؟ أمعلّم فائق يتكلم بسلطة وقوة ويثبّت صحة مذهبه بالعجائب ؟ أهو معلم اذاً مرسل من الله كما يعترف نتنائيل (يوحنا ٣ : ٢) هذا قليل عليه . أتراه نبي ونبي عظيم ؟ كثيرون هم الذين يعطونه هذا اللقب[١٣] ، ويسوع

لا يرفض هذا[١٤] ولكن هل هذا يكفي ؟ فاذا كان المعمدان البشير السابق هو فوق الانبيا. فكم بالحري يكون الذي يبشر بمجيئه (متى ١١ : ٩) فالنبي عدا ذلك يطلب من الناس ان يقبلوا بشارته ، ويسوع يطلب منهم ان يخضعوا لشخصه خضوعاً كاملاً . على ان كثيرين من يهود تلك الايام كانوا يعتقدون انه المسيح المنتظر . وسنرى فيما بعد ان صفة المسيح التي تطلبها يسوع لنفسه ان يستطيع ان يقوم بها انسان ما لم يكن فوق الناس قاطبة .

كيف الوسيلة الى افهام ذلك ؟ ان يسوع لم يكن ليصرح بهذا شفهياً الا نادراً . على انه سيظهر الوهيته بالاعمال وبالمزايا التي يقول انه اقتبلها من الله وبالافعال التي يعد بتحقيقها في المستقبل . وفوق ذلك لقد كان يتجنب ان يفرض على تلاميذه تعبيراً يرددونه دون ان يكونوا فهموه حق الفهم . هو يريد ان تتصاعد كلمة الايمان من اعماقهم الداخلية ومن اختبارهم الروحي الشخصي . وهذا ما يشرح لنا هذا التأني الحكيم في ارشاداته لهم .

بعض ايحاءات عن الوهته

انها اعمال واقوال لا يمكن اسنادها الى انسان ولو كان نبياً او مسيحاً .

نحن نعلم بأية سلطة سامية كان يسوع ينشر العجائب الاكثر روعة . ثم اعطى رسله هذه السلطة مجيباً بهذا على سؤال المعمدان القائل : «أأنت هو الآتي؟» (لوقا ٧ : ٢١-٢٢) ولكن لنتحرز ، رغم كلام متى (٨ : ١٧) ، من ان نرى في هذا ميزة من ميزات المسيح فقط ، لانه ما من نظرية يهودية تقول ان المسيح سيكون من صناع العجائب .

لقد قال يسوع انه اعظم من الهيكل ومن يونان ، ومن سليمان (متى ١٢ : ٦ ، ٤١ : ٢. – لوقا ١١ : ٣١-٣٢) فاي انسان يجرؤ على مثل هذا التحدي؟

وابلغ من هذا كله متطلبات يسوع المطلقة : انه يوجب على كل الذين يريدون ان يكونوا تلاميذ حقيقيين له ان يتركوا كل شيء ، ويوجب على كل الباقين اتباعاً لذاته ولانجيله[١٥] . فالمعلم يريد ، حسب قول الابوين (Rousselot, Huby) ليس فقط ان يعيش كل انسان مثله بل ان يعيش له[١٦] فاي نبي استطاع ان يدعي مثل هذا الادعاء ؟

انه يطلب لذاته ولتعليمه عين الايمان الذي نكنّه لله ولكلمته[١٧] .
ولهذا فهو يلعن المدن التي لم تقبله وينذرها بالدمار[١٨] . وان رسالته التي هي إقرار ملكوت الله هي بالوقت ذاته تتيم العهد العتيق[١٩] . لذلك فالشهادة الوحيدة التي تستطيع ان تثبت صحة رسالته هي شهادة الله[٢٠] . ولان قوة الروح القدس تظهر في اعماله ، فانه تجديف على الروح القدس لا يُغتفر الكل من قال ان هذه الاعمال مصدرها الشيطان[٢١] .

ممارسة الميزات الالهية

من يعمل اعمال قداسة يدل على انه رجل الله فحسب . وها هي الآن مواقف تفرض عند صاحبها الشعور والثقة بانه اله .

وهناك مبدأ موروث في اللاهوت اليهودي يقول بانه لن يستطيع نبي ان يبدل او يبطل الشريعة الموسوية . غير ان يسوع في « عظة الجبل » (متى ٥ : ٢١—٤٤) يفرّق بينه وبين الشريعة بقوله ست مرات متتابعة « اما انا فاقول لكم » وسيطلها عملياً فيما بعد بتصريح قاطع (مرقس ٧ : ١٤—١٩) لقد قال ان ابن الانسان هو ربّ السبت وهكذا اوضع نفسه في مرتبة الخالق ، فهو خالق ايضاً[٢٢] .

لقد غفر الخطايا وبرهن بمعجزة ان غفرانه لم يكن تجديفاً : الله وحده له مثل هذا السلطان[٢٣] .

لقد قال ان له السلطان على المملكة التي هي لله . انه يتصرف بها ، وسيطهرها لتصبح نقية ، ويعطيها لتلاميذه ، ويفتح ابوابها للذين يشاءهم[٢٤] .

وفي بعض تعابيره يسند القول الى الله او الى ذاته دون تمييز وتفريق[٢٥] .
ويعد بنعم هي محض الهية[٢٦] . ويقدّم ذاته وسيطاً اوحد بين الله والبشر الذين يعطيهم خيرات الهية متنوعة[٢٧] . ويختصر كل مواهبه عندما يقول عن ذاته انه النور والحياة . والنور والحياة خاصتان الهيتان يسبغها على من يريد .
وهو ايضاً قد أوتي من الآب سلطاناً ليحكم ويُحيي من يشاء : فمنه الحياة الابدية وسيقيم من الموت ، في اليوم الاخير ، كل الذين آمنوا به وتبعوه .
وبالجملة كل ادعاآته بالالوهية تختصر بكلمة « انا » التي لها في اقوال يسوع

مكاناً مهماً . انه يقول : « انا نور العالم ، وخبز الحياة والماء الحي . . . » ويقول ايضاً : « ويعرفون اني انا هو » وهذا مـا يذكرنا بمشهد العوسجة الملتهبة حيث عرّف الله بذاته لموسى قائلاً : « انا هو الذي هو » وايضاً : « انا هو الكائن . » (٣٩) لم يفه احد من القديسين قط بمثل هـذا الكلام . ومتى عرفنا عمق تواضع المسيح ، نعرف ايضاً ان كلاماً كهذا لا يفسره الا ثقة المسيح الراسخة وحقيقة اشتراكه بالخصائص الالهية .

هذه اللفظة الاخيرة تنير امامنا الطريق لتفهم سرّ يسوع وحقيقة نفسيته . وهذه الاستنارة الاولى تزداد وضوحاً واشراقاً من تصريحات المعلم الباقية التي علم على ضوئها تلاميذه وازال النقاب عن فكرته العميقة .

نقول : « تصريحات » مع ان يسوع لم يُدلِ الّا بالقليل من التصريحات الواضحة تماماً . فقد نكون على وشك ان نتهمه بانه كثير الحذر ، ما يكشف عن حقيقة امره الا ويعود حالاً الى الاحتجاب . ويمكن تفسير هـذه الخطة المزدوجة التي انتهجها : ان تأكيدات واضحة سابقة لاوانها لو أتت لكان لها نتيجتان مشؤومتان : اولاً اثارة معارضة لا هوادة فيها من قبل خصومه ، وثانياً تشكك تلاميذه وجرّهم الى نظريات خاطئة . اما هو فكان يريد ان يستدرجهم الى اكتشاف سر الايمان الثاوي في اعماق نفوسهم .

ابن الله الوحيد

لقد عرف اليهود ما كان يسوع يعتقده عن نفسه وما كان يدعي إفهامـه لمستمعيه . وعندما صرح لهم جواباً على الشكوى التي ذموه بها لانـه نقض السبت وقال : « ان ابي يعمل دائماً وانا ايضاً اعمل » ارادوا ان يميتوه « لانه ادعى » بان الله ابوه مساوياً نفسه بالله » (يوحنا ٥ : ١٧—١٨) ويسوع لم يقل انه والآب واحد فحسب ، فهذا زعم جنوني يجفل منه العقل ، بل اعلن سر الثالوث الاساسي : اي انه اقنوم مميّز عن الآب من حيث الناسوت ومتحد به من حيث الطبيعة مشاركاً اياه في الكيان والعمل : فهو ابن الله الوحيد . ولنتنبه الى اداة التعريف « ال » التي يؤكد بها تفرّده بهذه الميزة .

وبالفعل ، ان الله ، في العهد القـديم ، كان يدعو شعب اسرائيل « ابنه »

بكره الذي احبه » . ثم اصبح كل اسرائيلي مؤمن يأخذ هذا اللقب ليفرق بين ذاته وبين الكافرين (الحكمة ٢ : ١٦–١٨ ، ٥ : ٥) وهذا في معنى ادبي فقط[٣٠] . ولكن هذا المعنى هو رسم ونموذج للتطبيق الفريد على يسوع ذاته . وهذا واضح بيّن في كلامه العادي . لقد لاحظ القديس اغوسطينوس بنوع خاص كما لاحظ غيره ان يسوع عندما كان يتكلم الى الله او يتكلم عن الله كان يقول « الآب » او « ابي »[٣١] . بينما نسمعه يقول « ابوكم السماوي » كلما اراد ان يبعث الثقة البنوية بالله ، ولا يجعل نفسه مع من يكلمهم[٣٢] . وما ذاك الا لانه الابن بنوع اسمى[٣٣] . وهذا التفرد بتلك المنزلة يظهر بجلاء في قوله : « اما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها احد : لا ملائكة السماء ولا الابن الا الآب . » فرتبة الابن هنا فوق مرتبة الملائكة ، فهي على حدة قريباً من الله .

وفي بعض الاحيان النادرة يريد يسوع ان يتخذ لقب ابن الله كاملاً او يحب ان يلقبوه هكذا . ولقد أقرّ مرةً بانه سمى نفسه « ابن الله » . واقراره هذا لم يكن للتضليل بل ليبيّن كم يحق له ان يتخذ هذا اللقب الذي اعطاه الله للذين ائتمنهم على كلمته وتعليمه اذ قال : « انكم آلهة » (يوحنا ١٠ : ٢٧–٣٦) ومرتين اخريين صرّح يسوع بوضوح انه ابن الله ، ومن المعقول ان يكون صرّح بذلك مراراً ؟ اذ ان رئيس الكهنة استحلفه ليقول له هل هو حقيقةً ابن الله المبارك (مرقس ١٤ : ٦١) واليهود الحوا على بيلاطس ليحكم عليه بالموت لانه قال انه ابن الله (يوحنا ١٩ : ٧) والصالبون استهزأوا به قائلين : « لقد القى اتكاله على الله فلينقذه الآن ان كان راضياً عنه لانه قال انا ابن الله » (متى ٢٧ : ٤٣) ففي كل هذا ليس فقط اشارة الى نصوص وردت في الكتاب المقدس (مز ٢٢ : ٩ الحكمة ٢ : ١٣ ، ١٨–٢٠) بل الى ادعاآت المصلوب الماضية .

ان يسوع يهتم بان يفهم تلاميذه الاثنا عشر تمام الفهم حقيقة ذاته . ونراه يهنئ بطرس على الاعتراف الشهير الذي اعلن به قدام الجميع ان معلمه هو المسيح وهو بالوقت ذاته ابن الله الحي . لقد هنأه اذاً على نعمة الوحي التي أوتيها من الله حقاً لانه ما من لحم ولا دم اظهر له ذلك (متى ١٦ : ١٥–١٦) ولقد شهد بطرس مرة ثانية قائلاً : « انت قدوس الله » (يوحنا ٦ : ٦٩) وأظهر كالمرة الاولى

اعتقاده بهامه[٢٤] اما المعلم فقد ثبت هذا الاعتقاد عندما اخبر تلاميذه عن الصوت الذي سمعه من ابيه . وهو يعتمد من يوحنا : « انت ابني الحبيب الذي به سررت » (مرقس ١ : ١١) ، وعندما دعا الرسل الثلاثة المختارين ليسمعوا على الجبل يوم التجلي الصوت السماوي القائل : هـذا هو ابني الحبيب فله اسمعوا (مرقس ٩ : ٧) [٢٥] . واخيرًا قبل موته بقليل ، ليبدّد كل غموض ، عندما استحلفه رئيس الكهنة ليقول له هل هو ابن الله المبارك ، اجابه يسوع :« انت قلت وسترون ابن الانسان جالساً على يمين القـدرة في العلاء وآتياً على سحب السماء. (مرقس ١٤ : ٦٢) فالكلمات الاخيرة من هذه العبـارة تشير الى ابن البشر في نبوءة دانيال . اما الاولى فالى الرب على لسان داود (مز ١١٠ : ١) وقد فسّر يسوع هذا لايام سبقت (مرقس ١٢ : ٣٥—٣٧) معلناً انـه اكثر من انسان ، انه ابن السيد الاكبر ، ابن الله . ويسوع ، في ما عدا هذا ، كثيرًا ما لمح الى الوهيته امام الجموع ليساعدهم على فهم حقيقته الخفية : فمن هو هذا الابن الوحيد الوارث الكرم الذي يقتله الكرامون (مرقس ١٢ : ٦—٨) وهذا الحجر الذي رذله البناؤون واصبح رأساً للزاوية ؟ (مرقس ١٢ : ١٠) وهـذا ابن داود وربّه معاً ؟ (مرقس ١٢ : ٣٥—٣٧) .

ماذا كان يعني يسوع في لفظة « ابن الله » وكيف كان مستمعوه يفهمونها؟ نحن نعلم ان هذا اللقب اعطي في العهد القديم لاسرائيل ثم للملـك وهكذا لسليمان (صموئيل الثاني ٧ : ١٤) وليس له هنا معنى فائق يدل على الالوهة رغم ان الرسالة الى العبرانيين (١ : ٥) تطبق النص القديم على ابن الله الوحيد : وهذا التطبيق هو مثلٌ للتفسير النموذجي. ومن المحتمل ان لا تؤخذ لفظة ابن الله المختصة بالمسيح (مز ٢ : ٧؛ ٨٩ : ١٠؛ ١١٠ : ٣) :« انت ابني وانا اليوم ولدتك» بالمعنى الحرفي وكذلك ايضاً كل الالقاب التي يطلقها اشعيا على عمانوئيل (اشعيا ٩ : ١٤؛ ٧ : ١٤؛ ٨ : ٨) ولكن هذه الالقاب كانت اعدادًا وتمهيدًا ووحياً للحقيقة الكبرى المزمعة ان تتم . وانا نجد في كثير من كتب العهد القديم المنحولة ان المسيح هو شخص فائق[٢٦] . وبالعكس فاننا نرى احبار اليهود يأبون التسليم ، عـلى الاقل بعد ظهور المسيحية ، بان يكون المسيح غير « انسان من الناس» حسب تعبير (Tryphon) ولكي يبددوا الاعتراضات التي تضايقهم تفسيرًا اعتباطيًا.

وهكذا نفهم لماذا ألحّ رؤساء اليهود في طلب الحكم بالموت على يسوع لانه كان يقول انه « ابن الله » . وما ذاك الا لانهم ادركوا معنى هذه اللفظة وادركوا المعنى الذي كان يسوع يقصده بها . فهل هي ، خصوصاً في بعض النصوص، سوى اسم للمسيح[٣٨] ؟ على كل حالٍ اننا نظن ان شعور اليهود الدقيق بما يتعلق بهذه النقطة وشعور يسوع ببنوته الالهية لا بد لها من ان يجعلا كلامنا هذا على غايةٍ من الحذر والتأني .

على ان المؤرخين القدريين يحاولون ان يُظهروا يقظة ونمو شعور يسوع ببنوته الالهية ، فيقولون انه نتيجة شعور المعلم برسالته كمسيح ، هذا الشعور الذي استيقظ في نفسه تدريجياً ثم استحال الى شعور بالبنوة . هذه هي فكرة (Holtzmann) القائل : « ان الشعور الاول هو ادراك رسالة والثاني هو ادراك شخصي للذات . » ولا بد لنا من ان نناقض هذه الفكرة ونجزم بان يسوع استطاع ان يؤدي رسالته كمسيح لانه اولاً ابن الله . فان اول كلام المسيح الوارد في الاناجيل (لوقا ٢ : ٤٩) يلفت الانتباه ويبين عن شعوره اولاً بالبنوة: « لماذا تطلبانني . ألم تعلما انه ينبغي لي ان اكون فيما هو لابي ؟ » وانما كلمات صبي في الثانية عشرة من سنه ، سن السذاجة وعدم الرشاد ؛ كلمات صبي عادةً مطيع ، اراد بل، خاطره ان ينفصل عن والديه قليلاً ليبرهن عن حقوقه على الهيكل ويفرق بين ابيه المربي وبين ابيه الحقيقي الذي هو الله . ولهذا فات المؤرخين الذين هم على شيء من الايمان يقرّون بوجود سرّ الهي وراء هذا الاقتناع العميق الحاضر في نفس يسوع منذ ابتداء حياته[٤٠] .

والان ما هي المعاني التي اراد يسوع ان يضعها في لفظة «ابن الله» ؟ وماذا يحتوي هذا الشعور العميق ببنوته الالهية ؟ هذا ما سنفصله في كلامنا الاتي .

ولكننا نستطيع منذ الآن ان نرى عنصرين اساسيين : الابن هو اقنوم مستقل عن الاب ، ولكنه متحدٌ مع الآب اتحاداً كاملاً ومساوٍ له في الجوهر والكمالات .

يسوع وابوه

هنالك صيغة لفظية مدهشة وهي انّ يسوع اذ يتكلم عن علاقاته بابيه يستعمل تارةً صيغة الحاضر وطوراً صيغة الماضي. لماذا ؟ سنرى ان صِيَغ الحاضر

تدلّ على العلاقات الجوهرية الثابتة المستمرة التي تقوم بين يسوع وابيه ، بينما الصيغ الماضية — وهي ماضية في التاريخ الزماني — تدل على الولادة والتجسد في الزمان .

الانبثاق الازلي والتجسد

ان الآب ، يوم الاعتماد ويوم التجلي ، أظهر ان يسوع هو « ابنه الحبيب » (وحيده) ؛ فهو اذاك لا يتكلم عن تلك الولادة الازلية التي يعظمها صاحب المزامير (مز ٢ : ٧ : ...... : الكامل في الازلية) والتي يذكرها القديس بولس كاملة في رسالته الى العبرانيين (١ : ٥ ؛ ٥ : ٥) وهكذا تبرز الولادة الازلية واضحة جلية . ونرى القديس يوحنا ايضاً في رسالته الاولى[٤١] يقول ان يسوع « هو ذلك المولود من الله » ، ذلك الذي يعطي اخوانه البشريين ان يكونوا هم ايضاً « مولودين من الله » . ولكن يسوع ذاته يظهر انه يعود الى هذه الولادة الازلية عندما يتكلم « عن الاسم الذي اعطاه اياه الآب » (يوحنا ١٧ : ١١—١٢) وعندما يذكر اباه « بالمحبة التي احبه اياها » تلك المحبة التي تغمر كل اخوانه البشريين لانها تهبهم الاسم الالهي الذي هو الطبيعة الالهية (يوحنا ١٧ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦) وهنا ايضاً يسوع يتكلم عن المحبة التي هي في الزمان ، تلك المحبة التي هي مصدر الاسم والمجد الالهيين اللذين يملكهما ملكاً مطلقاً ؛ لان تلك المحبة هي سبب اقنومه وسبب رسالته في العالم .

وبالجملة يمكننا القول ان يسوع لا يذكر ابداً الولادة الازلية التي تدور حول شخصه . وبالعكس فانه غالباً ما يتكلم عن تجسده ، السر الذي تهم المؤمنين معرفته اكثر من غيره لانه مصدر كل النعم التي يقتبلونها في التدبير المسيحي .

ان كلمة يوحنا « وصار جسداً » (يوحنا ١ : ١٤ ؛ ٤ : ٢) لا تجري على لسان يسوع ، ولكن يسوع يشير الى الفكرة ذاتها على طريقتين مقترنتين غالباً تظهر الواحدة الاخرى بوضوح : لقد خرج من عند الله والله هو الذي ارسله[٤٢] فالتعبير الاول يجب ان يفسر حسب معناه الاوسع اي ان يسوع ليس فقط خرج من عند الله ، بل وانبثق عنه ايضاً ، اي عن المصدر ، عن الاب الذي هو الله[٤٣] . والتعبير الثاني « مرسل من الله » يجب ان يفسر على نحو خاص ، اي

ان يسوع ليس فقط يمثل الآب بل يظهر متحداً به(٤٤). وان هذا المعنى المزدوج الذي يحدّد رسالة الابن هو ايضاً موضوع الايمان المسيحي(٤٥) . وعلى كل حال «خرج» من عند الاب ، او «أرسل من عند الاب» تفرضان حالة سابقة كان فيها الابن عند الله(٤٦) .

لقد اعتدنا في تصوراتنا اللاهوتية ان نتخيل يسوع مستقراً في حضن الثالوث الاقدس الكلي السعادة . وهذا التصور ، على ما نعتقد ، يجهله العهد القديم . وكذلك ايضاً في مفهومنا العادي لقد اعتدنا ان نميّز بين طبيعتي يسوع الالهية والبشرية ، وقد يقودنا التجريد المبالغ فيه الى الانتباه الى الطبيعة البشرية اكثر من الطبيعة الالهية كأنهما منفصلتان او ممكنتا الانفصال، ناسين في ذلك تحديد المجمع الخلقيدوني الذي يفرض علينا «الاعتراف بذات المسيح الواحد ، الذي هو ابن وانه وحيد ، ذو طبيعتين متميّزتين دون تبديل ، غير منقسمتين ولا منفصلتين»(٤٧) . فالمجمع الخلقيدوني في هذا التحديد يتحرّى الأمانة لروح العهد الجديد وحرفه . فهو ينظر الى المسيح الحيّ في عهد البشارة فيراه الهاً وانساناً معاً. اما المسيح من جهته فيسند اعماله الى الآب كلما تكلم عنها، فهو اخذ كل شيء من الآب وما برح الاب يعمل فيه . وهذا الكلام يفضي بنا الى النظر في

وحدة الاب والابن في الكيان والاعمال

ان يسوع لا ينِي يؤكد «انه (حيٌّ) مع الآب»(٤٨) وانه «والآب واحد» (ἕν وليس εἷς) : وحدة في الطبيعة وليس في الاقنوم(٤٩)، وانه «في الآب كما أن الآب فيه»(٥٠) من حيث الاتحاد التام المتبادل الذي لا يمكن ان يتم الا بين الآب والابن المتساويين في الجوهر. يسوع لا يتعب من التأكيد ان كل ما يملك الاب هو له ، وان كل ما يملكه هو للاب(٥١) . وهذه التأكيدات لا تصحّ الّا في الذي يأخذ كل حين والى الابد «الاسم الالهي والمجد الالهي والطبيعة الالهية» من ابيه الله(٥٢) .

ان هذه الوحدة والتبادل في الكيان والجوهر تظهر ايضاً في الاعمال. وهذا ما يعبّر عنه يسوع بطريقتين : فالاولى سهلة المأخذ اكثر من الثانية اراد بها يسوع ان يبين السبب الذي لاجله يجب ان نؤمن بانه في الآب وان الآب فيه

حين جزم مؤكدا : « ان الكلام الذي قلته لكم لا اقوله من عند ذاتي ولكن الاب الذي هو معي يعمل اعماله »[٥٣] . فنحن الان في قلب السر ، وانا نرى ، حسب قول القديس يوحنا الدمشقي الذي يراجعه القديس توما مرارًا كثيرة ، كيف ان طبيعة المسيح البشرية هي آلة مطواع بين يدي الالوهة (Instrumentum conjunctum)[٥٤] . اما اذا تكلم يسوع عن اقنومه الشخصي فنراه يضع اعماله الذاتية على مساواة مع اعمال الاب . أما نسمعه يقول مبررًا نفسه اذ شفى انسانًا يوم السبت : « ان ابي يعمل دائمًا وانا ايضًا اعمل » ؟ في صيغة الحاضر . ولنلاحظ هنا قوله : « وانا ايضًا » الذي يدلّ على المساواة ويدل ايضًا على الوحدة في الجوهر . ويستطرد قائلًا : « ان الابن لا يستطيع ان يعمل شيئًا من تلقاء نفسه ما لم يرَ الاب عامله . فالذي يعمله الاب هو عينه يعمله الابن مثله ايضًا . والاب يحب الابن ويريه كل ما يعمله... فكما ان الاب يقيم الموتى ويحييهم هكذا الابن ايضًا يحيي من يشاء. ... فكما ان الاب له الحياة في ذاته ، هكذا اعطى الابن ايضًا ان تكون له الحياة في ذاته . » (يوحنا ٥ : ١٩—٢٣ ، ٢٦) فهذه العبارات الملأى بالمعاني يجب ان نفهمها فهمًا واقعيًا من فم الاله الانسان ، يسوع المسيح . فهو يدلّ اولًا على حقيقة كيانه الاساسي : انه يأخذ ولا يريد ان يكون غير هذا ؛ ولكنه يأخذ من الله الذي ، في حبه له ، يشركه في كل مزاياه الالهية . ويسوع يقول ايضًا عن الاب انه « يُريه » ولكن يجب ان نجرد هذه الكلمة من معناها البشري المادي . فاذا كان الاب « يُريه » فليس كما يصنع رب العمل اذا ما اراد ان يعلّم تلميذه كيف يجب ان يعمل . وكلمة يسوع هنا لها معنى آخر اي ان الاب بانطباعه الكلي في الابن بواسطة المحبة وإفاضة الطبيعة الالهية ، يشركه بالمزايا الالهية الخاصة[٥٥] اي بتزية المحيي والديّان . ولذلك اصبح من الواجب على البشر ان يكرّموا الابن كما يكرّمون الاب[٥٦] .

هذه العلاقة الوحيدة التي تضمّ الآب الى الابن نجد لها يسوع تعبيرًا فيه شيء من التخفي وكثير من الايضاح عندما تحركت فيه الرعشة العاطفية تحت تأثير الروح ففاه بتلك الصلاة : « كل شيء دُفع اليَّ من ابي ولا يعرف احد الابن الّا الاب ولا يعرف احد الاب الا الابن والّا الذي يريد الابن ان يبين له »[٥٧] .

فلنبدأ تفسيراتنا بالعبارة الاولى : « لا يعرف احد الابن الا الاب » . ان هذا يفرض ان طبيعة الابن تفوق مرتبة المخلوق وانه « يلزمنا النظر الالهي الثاقب » لنعرف حقيقة تلك الطبيعة عند الابن . واننا ندرك بالوقت ذاته ان معرفة الاب للابن تفوق العمل العقلي : كل معرفة انسانية تطلب شيئاً من الاندماج بالشيء المعروف . وهذا الاندماج اكثر ضرورة في الالهيات ايضاً حيث المعرفة هي تداخل وامتزاج وامتلاك ودّي متبادل (يوحنا ١٠ : ٤) ومن جهة ثانية ايضاً هو الابن وحده يستطيع ان يعرف الاب لانه اله مثل الاب ولانه مساوٍ له في الجوهر . وعدا ذلك فالابن له ميزة خاصة تأتيه من سر تجسده وهي ايضاً السبب الذي لاجله اخذ جسداً : وهذا السبب هو ان « يبين الاب الى من يريد ان يبين له » هذه الكلمات الاخيرة تظهر صنيع الابن الشخصي : فهو يطابق ارادته مع ارادة الاب فيما يتعلق بالنِعَم التي اقيم عليها وسيطاً واميناً ، ولكنه هو ايضاً مصدر الخيرات التي يملكها ملكاً مطلقاً ويتصرف بها كما يريد .

فاذا كان للابن مثل هذه القدرة والسلطان ، فلأن « كل شيء دُفع اليه من ابيه » . كل شيء ليس فقط الحكم والسلطة على الارض بل كل ما يُشرك به الله في حبه له اي ماهيته وطبيعته الالهية .

دراسة نفسية ابن الله المتجسد

انه اله انسان واننا نرى ابن الانسان هذا يقوم بتأتيه كاله ولا نكتشف فيه اية ثنائية كانت تحطم وحدة شخصه التامة هذه الثنائية التي ابدعها نسطور فشجبه مجمع افسس — وعلى العكس من ذلك اننا لا نلمس فيه الا « انا » واحدة عاملة دائماً كاداة طيّعة لابيه : اي العبارة عن العقيدة الايمانية التي تجمع بين طبيعتي المسيح في شخص واحد الا هو شخص الكلمة فعلينا ان لا نعرض النفس الى خطر النسطورية وان بعيداً وذلك بتساؤلنا الى اية طبيعة ترد مثل هذه العملية[٨] او اذا كانت مأتيه هي حقاً الهية وانسانية[٩] .

ونلخص في هذه الوحدة التامة موقفين متعاكسين حيال الاب إلّم يكونا متناقضين اذ قال عن نفسه انه مساوٍ له . وقد جعل ذاته حقيراً جداً امامه

بابتهاله اليه واطاعة اوامره : وفي مثل هذا المقام نلمس اتضاع الابن المتجسد[٦٠] اتضاعاً لا تفسره طبيعته الانسانية لانها مخلوقة فهي بحكم الضرورة احط من اللامتناهي وانما على العكس من ذلك طبيعته كابن مكوّن في شخصه الالهي لانه اخذه من الاب وهو بمحبة بنويّة يخضعها دائماً له .

وبكلمة اقوى من جميع الاعتبارات لقد خدّد يسوع شعوره بالعلاقة التي تربطه بابيه اذ قال بخطابه في وداع تلاميذه « فلو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون باني ماضٍ الى الآب لان الآب هو اعظم مني » (يوحنا١٤—٢٨) وكيف ذلك؟ وهل الابن اصغر من ابيه ؟ ان ثمت مفسرين ولا سيما اللاتينيون فهموا بهذه الكلمات « ان الآب هو ارفع مقاماً من الابن بسبب طبيعة الابن الانسانية التي جعلته في مصاف المخلوقات . . . » ويتابع دوران Durand قائلًا : ان معظم الارثوذكسيين او على الاقل اليونان منهم يتفقون على القول ان ابن الله اعلن هنا جهاراً عن امتثاله حيال ابيه لا بسبب طبيعته الانسانية وانما بسبب اصله .

ولقد جمع القديس كيرلس الاسكندري بين التفسيرين وقال : انه الكلمة المتجسد الناطق في وحدة شخصه غير المنقسمة[٦١] على حدٍ سواء .

وتوضح هذه النزعة الاساسية كلمات اخرى للمسيح فنحن لا نجهل شهادته « الابن لا يستطيع شيئاً من عنده » وندرك ايضاً الكلمة التي قالها للفتى الغني الذي دعاه « صالحاً » فاجابه لماذا تدعوني صالحاً انه لا صالح الّا الله وحده (مرقس ١٠ : ١٨) وليس قوله هذا الا تأكيداً ان الله وحده هو مبدأ كل صلاح وتعظيماً لنفسه بنسبته اليه جميع الصفات التي استمدها منه .

واعترف بهذه العلاقة نفسها من الناحية العقلية « ان تعليمي ليس هو لي بل للذي ارسلني » (يوحنا٣ :١٦—١٧) واكتفى ايضاً بان يشهد بما سمعه على مقربة من الآب (يوحنا ٣ : ١١ ؛ ٥ : ٣٠ ؛ ٨ ،٢٦ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٤٧ ؛ ١٤ ، ٢٤ ؛ ١٥ ، ١٥ ؛ ١٧) وبتفوّقه المتفرد بمعرفته الله وهو وحده الذي يظهر الآب .

وفي هذا النحو نستطيع تفسير المثل الذي ضربه واستخدم غالباً لانكار الوهية المسيح :« اما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها احدٌ ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب » (مرقس ١٣ : ٣٢ ؛ متى ٢٤ : ٣٦) وينبغي لنا ان نربط هذه الكلمات بسلسلة من تصريحات السيد التي ينمحي فيها الابن

مبدأه، وفي هذه الرسالة يعمل الآب والابن معاً فالآب يرسل باسم الابن والابن مرسلٌ من عند الآب. ويبدو الآب على كل حالٍ كمبدإٍ اعلى يستمد منه الابن السلطة لكي يُرسل، اما الروح فتنتظم بصورة خاصة مع الابن فيذكّرنا بما علّمه هذا الاخير ويأخذ مما هو له لكي يبشر به.

وكما خرج الابن من الذي ولده منذ الازل، من ابيه لينجز رسالته، كذلك انبثق الروح من الآب الذي هو اذاً مبدأ كونه[٦٨].

ملكوت الله ـ عقيدة اليهود في انتظار المسيح المنقذ

تقوم رسالة ابن الانسان على تشييد ملكوت الله: ولقد اعلن منذ اولى بشاراته ان (الملكوت هو هنا[٦٩]) وعرّف رسالته انها (انجيل الملكوت)[٧٠] فما هو ملكوت الله هذا؟ ان ضروب الجدل الحديثة كان من شأنها ان اثارت غموضاً كبيراً حول هذه العبارة ومفهومها اللذين نتردد في تعريفها، وكان يرى بوخسل (Büchsel) ان العبارة بسيطة فملكوت الله يجب ان يكون ملكوتاً علك فيه الله. وقبل مباشرة درس فكرة يسوع حول هذه النقطة نأتي ببعض الادلة على تاريخ العبارة السابق ومفهومها[٧١].

مفاهيم التوراة واليهود

يخيّل الينا انه من المناسب ابداء ملحوظة تمهيدية اذ يجب علينا ان نميّز بين العبارتين « ملكوت الله » ومفهوم « عقيدة اليهود في انتظار مجيء المسيح المنقذ» كما يجري غالباً، فالعبارة الاولى اقرب الى الفهم من الثانية.

ولو بحثنا كتب العهد القديم لاعجبنا بادئ بدء بان لا نصادف فيها هذه العبارة الا نادراً[٧٢] وذلك لان الفكرة المضبوطة التي تعني تحتل في العبارة اليهودية مقاماً ثانوياً بشكلها النوعي.

ومع ذلك فثمت فكرة تملأ جوّ التوراة. وهي ان الله ملك ولكنه ليس ملك اسرائيل وحده وانما جميع الارض «وكل امة ومملكة[٧٣]» فالله يملك بسبب قدرته وانتصاراته على اعدائه[٧٤]: وهل يملك لكون البشر يعترفون بسلطانه ويقبلونه؟

تحوّلت الى اثنين هما الآب والابن اتحدا بالمحبة الوثقى وعاملان معاً على حين اننا قلما نرى الروح القدس وغالباً يبدو كأنه رسول من الآب والابن . ولكن اذا ما وقفنا النظر ندرك ان تعليم الانجيل لا يختلف ابدًا عن تعليم العهد الجديد بكامله ومجموعة العقيدة المسيحية الّا من حيث بعض الوضوح[٦٤] فهو في جوهره واحد اينما كان . فالاناجيل عامة على شاكلة الكتب المقدسة تظهر لنا الروح القدس اكثر مما تبين لنا عمله الذي نراه في مأتى المسيح ونكشف فيه خاصتين: الاولى انه عمل يمارسه كائن الهي له من جهته جميع خصائص الاقنوم الحقيقية وهو بارقليط الابن (يوحنا ١٤ :١٥) وعمله واضح الفردية كل الوضوح»[٦٥] .

ومما يبين بجلاء ما بعده جلاء ان الروح القدس هو اقنوم من المستحيل ان لا يكون في مصاف الآب والابن صورة العماد : لان القائم من الموت قد امر بان يجري العماد باسم الآب والابن والروح القدس (متى ٢٨ : ١٩) .

ولا شك في حقيقة هذه الصورة[٦٦] فان معنى «باسم» مفاده ان المعمّد يضع نفسه تحت امرة واحد (وهذا الشخص هو هنا غير يسوع) ويشترك معه (اعمال ٢ :٣٨ ؛ ٨ :١٦ ؛ ١٠ :٤٨ ؛ ١٩ :٥) اي تحت امرة الله وحده الموجود في ثلاثة اقانيم : وصفوة القول ان الروح الذي ذكر على نحو واحد كالآب والابن هو ايضاً شخصي والهي كالاول والثاني .

ومما يحملنا على الدهشة ما حوته صورة العماد من المعاني الكثيرة لم يمهد لها في الاناجيل الثلاثة اما متنها الانجيل الرابع فيخوّلنا ان ندرك هذه المعاني بوضوح اعظم ونسلّم بها على حدّ ما كتبه الاب ليبرتون (Lebreton) ان توسيع علم التثليث السابق يفرض في تعليم يسوع مجالًا رحباً وضبطاً لا توضحها النصوص الاخرى[٦٧] .

ونرى ايضاً عند القديس يوحنا ما يلقي ضوءا على اصل الروح ، وفي خطاب ما بعد العشاء السري (١٤ :١٥ ؛ ١٥ :٢٥ ، ١٦ :٢٦ ؛ ٨ :١٥) نقع على هذه الاقوال التي يتمّ واحدها الآخر وتتضح على التبادل : الآب يرسل الروح وباسم الابن ، الابن يرسل ايضاً الروح من عند الآب ومنه يأخذ الروح رسالته ، ان روح الحق ينبثق من الآب .

وينبغي لمن يرسلون ان يكون لهم بعض التأثير في الذي يرسلونه ويكونوا

من الاستنباط وهي في الوقت نفسه غير محدودة : اما تلاميذه فسيحددون مفهومها لانفسهم كلما رأوا اتساع النظام الجديد ولا سيما على قدر ما يتبنونه ويحيون بموجبه .

ولا يعزب عنا ان يسوع قد علّم تعليماً جديداً وشخصياً بحتاً بواسطة هذه العبارة الدارجة وقد اعتبره الكثيرون تعليماً توريناً[٨٤] . فاية كلمة استعمل؟ لقد كان اليهود يقولون ملكوت شمايم فشمايم (السماء) يعني الله اذكانوا بدافع المغالاة في الاحترام يمسكون عن ذكر المسميات القدسية . اما لفظة ملكوت فانها لا تدل على الارض (المملكة) التي يملك عليها سلطان وانما على ولايته وسيادته وسيطرته اما لفظة (ملك) او (مملكة) في الافرنسية وبمعناها الواسع فاستخدامها خطأ هنا لانه يشير الى حقيقة قد نظر اليها من حيث الظروف فقط اما يسوع فلم يؤخذ بالمزاعم اليهودية فاستطاع ان يقول مملكة الله وربما لمجاراة البيئة قد قال (ملكوت السماء) من دون ان يعني بذلك المقر الالهي[٨٥] ولقد قال ايضاً « الملكوت » عن النظام الجديد الذي اوجده .

ولم يضع يسوع قط تعريفاً « لملكوت الله هذا » مما حدا بمعاصرينا الكرام الى تأويله بشتى المفاهيم المختلفة التي نستطيع ان نجزها بنموذجين احدهما على نقيض الآخر تماماً . وبحسب مفهوم النموذج الاول ان المسيح رمى الى ملكوت روحي تقدمي تطوري وبحسب الثاني ان المسيح كان ينتظر ان يتم هذا الملكوت عفوياً من تلقائه وذلك عن طريق الاضطرابات في المنتهى ، اضطرابات تقلب العالم برمته بطناً لظهر لنرى بموجب هذين المنهجين ان عامل « الزمان » يمثل فيها دوراً معيناً يؤدي بنا الى تحديد فكرة يسوع معولين على استخدام اللغة التي تكلم بها .

ولقد تكلم على الملكوت في معظم الاوقات بالحاضر كانه حقيقة قائمة ، وفي الماضي الذي يفرض حالة بدأت او في المستقبل . انه لماضٍ يشمل الحاضر : ولقد جعل يوحنا المعمدان ملكوت الله[٨٦] نهاية عهد الناموس والانبياء . واذا كان ملكوت السماوات قد حان فهو قد بدأ (متى ١٢ : ٢٨ ، لوقا ١١ : ٢٠) ولذلك أكد يسوع « انه هنا » حاضر[٨٧] ولقد فاز بالملكوت بعضهم[٨٨] ومنهم

من هم كبار ومن هم صغار[٨٩] . ان المشارين والزناة يسبقون اليه بحريين (متى ٢١ : ٣١ وما يليها) . ليس لنا ان ننتظره « فهو في داخلكم »[٩٠] .

ومنذ الآن نستطيع ان نقبله (مرقس ١٠ : ١٥ ؛ لوقا ١٨ : ١٧) . وفضلاً عن ذلك كله فان المسيحي يطلب في صلاته اليومية « ليأتِ ملكوتك » (متى ٦ : ١٠ ؛ لوقا ١١ : ٢) وما برح الكثيرون يرقبون ظهور الملكوت في الزمن الآتي (لوقا ١٩ : ١١) اما يسوع فيصوره بعهد المكافأة والغبطة المسيحيين[٩١] . ولقد تحقق وما برح ايضاً علينا ان نحققه : واننا سنبحث كيف يكون ذلك .

ولنذكر من اقوال المسلم بصحتها فنرى ان الملكوت يبدأ مع يسوع وندرك فوراً انه قد اوقف كل جهوده على رفع شأنه حتى بات في مقدورنا ان نؤكد مع اوريجانوس ان رسالة المسيح وحتى شخصيته كادتا تتوحدان به فهو الملكوت نفسه (autobasiléia) كما انه الحكمة بعينها والعدل بذاته والحقيقة نفسها[٩٢] .

فاذا صنع لانجاز مهمته ؟ لقد اجابنا بالصلاة التي علمنا اياها « ليأتِ ملكوتك ولتكن مشيئتك » وبتحقيق الخطط الالهية واننا لنرى الابن قد ظل حريصاً كل الحرص حتى الساعة الاخيرة من حياته على طاعة مقررات ابيه كما اعلنت عنها النبوءات .

والمظهر الآخر من استعداده هذا الاساسي هو تمجيد الآب بانجازه العمل الذي عهد به الى الابن (يوحنا ١٧ : ٥) وهذه الاقوال موجودة في القديس يوحنا وهي تنطبق على موقف يسوع العادي الذي يتم صراحة الخطة المرسومة في العهد القديم .

وتشييد ملكوت الله قد اصطدم بمقاومة الشيطان ومعارضته الصريحتين وهو قد شغل مقاماً في اقوال يسوع . اما تفسير هذه الاقوال وفقاً لما كان يقوم من مفاهيم في عقل الجمهور الذي رأى في ابليس تشخيصاً للشر فامر يستحيل التسليم به كما قال سويت (Swete) « ان نكران وجود الشرير الشخصي يظهر لي انه يدخل عنصر شك خطير في تعليم المسيح والرسل[٩٣] » .

ولقد ظهرت عداوة هذا الخصم منذ البدء. اذ حاول بتجربته الاولى ان يحوّل ابن الله عن الخطة المسيحية الروحية ، وقد اعترف الذين اعتراهم روح الشرير بانه قد نشب بين القوتين صراع حاسم[٩٤] فالشرير جاء ينتزع الكلمة التي زرعها ابن الانسان ليلقي الزؤان في حقله[٩٥]

وهو الذي حرّض على آلام يسوع[٦٦] فلذا كان على الذي جاء يشيّد الملكوت ان يكافح الشيطان وكان من رسالته ان يعتق الذين اعترام الروح الشرير وما كانت انتصاراته المثمرة على الارواح النجسة الا شهادة على ان ملكوت الله قد حان (متى ١٢ :٢٨) وبحم عن تبشير تلاميذه ان تدهور الشيطان كالبرق الساقط من السماء (لوقا ١٠ :١٨) ولا سبيل لمهاجمة امير هذا العالم سلطان الظلام من ان نعلنها حرباً شعواء على العالم وعلى الذين تحوّلوا عن الله وليس هدف هذا الكفاح تحطيم الخصم ولكن ارتداده لان العالم هو من مخلوقات الله التي يريد خلاصها[٦٧].

لقد كانت غاية كل المجهود الذي بذله يسوع تشييد ملكوت الله واعلاء تمجيده فالمعجزات العديدة التي صنعها لانقاذ الاجسام من الاوجاع التي كأنها نتيجة عبوديتنا لابليس ودليل عليها ينبغي لها ان تبدو لنا بحسب قول الاب دغرانازون (de Grandmaison) كأنها مملكة الله بالافعال[٦٨].

وانما لكلمة ابن الانسان خاصة هي التي ساعدت على تشييد ملكوت الله فهو قد بشر بانجيل الملكوت (متى ٢٦ : ١٤) وزد على ذلك فانه قد شبّه في المثل الذي ضربه الملكوت بحب الكلمة المزروعة والتي دعيت « كلمة الملكوت » (متى ١٣ : ١٩) — ويمنا القول بهذا التعريف انه بصيغة المضاف اليه . ونقع على هذه الفكرة نفسها في مثل الزؤان الذي يصوّر تقلبات الكلمة التي زرعها ابن الانسان (متى ١٣ : ٣٧) . وفي هذا المعنى نفسه تكلم يسوع على اسرار ملكوت الله اي عن الحقائق العميقة التي يفهمها فينبغي لنا ان نفهم ملكوت الله كتعليم جديد سري ، فالعالم المسيحي هو من تفقه هذا التعليم (متى ١٣ : ٥٢) والمبشر المسيحي هو من احتذى مثل يسوع ونشر بشارة هذه الرسالة الحسنة — الانجيل لانه قد فقه الملكوت كتعليم (جهرت به مدرسة معيّنة) وهو الذي هنأ يسوع عليه احد الكتبة لأنه استصوبه وقال له « لست بعيداً من ملكوت الله » (مرقس ١٢ : ٣٤) وتعليم يسوع الواسع يحوي توجيهات ادبية وادلة السر الالهي اما الخطبة على الجبل التي اطلق عليها غالباً اسم ميثاق الملكوت الاكبر فلا تشتمل على جميع تعليم الملكوت وانما هو مبعثر في كل الانجيل واستخدام عبارة ملكوت هنا ففي معناها العقلي والادبي اما

مفادها الاجتماعي فهو ان الذين يعتنقون هذا التعليم يؤلفون جماعة اي مملكة ابن الانسان التي يجب ان تقتلع منها العناصر الرديئة (متى ١٣ : ٤١) وما هذه الجماعة الا تكملة لاسرائيل واليهود وهم اعضاؤها الاصليون الذين سيطرحون منها (متى ١٢ : ١٢ ؛ ٢١ : ٤٣) .

ولما جعل يسوع سمعانَ الصخرةَ الاساسية لكنيسته وسلّمه مفاتيح ملكوت السما. (متى ١٦ : ١٩) فقد اوضح لنا من بعض المناحي ان هذه الكنيسة ومفاتيح الملكوت هي واحد . ولقد قيل في تلاميذ يسوع انهم « المنتظرو الملكوت » (مرقس ١٥ : ٤٣ ؛ لوقا ٢٣ : ٥١) وذلك طبعاً وفقاً لتعليمه وفي جماعته . ولا يخفى عنا ما هو ملكوت الله هذا الذي يقفله الفريسيّون في وجه غيرهم ولا يريدون ان يدخلوه (متى ٢٣ : ١٣) . انه الملكوت نفسه الذي يتقصبه الغاصبون (متى ١١ : ١٢) والبشر جميعهم ولا سيما اليهود مدعوّون للانضمام الى هذه الجماعة دعوة لا تبرح تتجدّد حتى الساعة الحادية عشرة (متى ٢٠ : ١ — ١٦) فالاجر مضمون للمتأخرين كالاولين .

ومن هذه الادلة نستنتج انه بمقدورنا اعتبار الملكوت كملكية مشتركة وخاصة في آنٍ واحد للافراد فعلى كلّ منهم ان يبذل مجهوداً ليدخليا وينعم فيها بالحياة التي يحلم بها . نعم اننا مدعوّون قبل كل شيء الى السعي لكي نفوز بملكوت الله (متى ٦ : ٣٣ لوقا ١٢ ؛ ٣١) فهو الكنز واللؤلؤة الثمينة اللذين ينبغي لنا ان نفوز بهما مهما كلفَ الثمن (متى ١٣ : ٤٤—٤٦) ففي سبيل احراز ملكوت الله نقبل افدح التضحيات جسامة (متى ١٩ : ١٢ لوقا ١٨ ؛ ٢٩). وحمادى القول: ان المؤمن اكيد من معونة الله له في مجهوده لانه احد افراد القطيع الصغير » ولقد حَسُن لديه ان يعطيكم الملكوت وسره « (لوقا ١٢ : ٣٢ ؛ متى ١٣ : ١١) فالله لم يحقق مقصده سرّ محبته لمخلوقاته من دون ان يمنحهم جميع النعم الضرورية لهم. ويسعنا ان نطلق مع ريتشل « Ristchl » واللاهوتيين الالمان اسم »هبة« Gabe على الملكوت او ان نسميه »مهمة« Aufgabe اذ على الانسان ان يعمل تبعاً للاوامر التي بلّغه اياها رب الملكوت اي ان جميع الذين ارسلوا لحراثة الكرمة يتقاضون الاجرة نفسها لان كل واحد قد بذل جهده (متى ٢٠ : ١٠) .

ان الابن الطائع حقاً ليس من يقول « نعم » لابيه بل هو من يتمم وصيته (متى ٢١ : ٢٨ — ٣٢) وما العمل الانساني الشاق الا تعاون مع العمل الالهي المتفوّق دائماً : لا يُقبل على الابن الا الذين يجتذبهم الاب (يوحنا ٦ : ٣٧ ؛ ٣٩ ؛ ٤٤ ؛ ٦٥ : ١٧ ؛ ٦) : ما من احد يستطيع ممارسة بعض الفضائل الا الذين اعطي لهم ذلك[٩٩] ، وان الله يوزع مقدار نعمه على قدر ما يُعطى لهم « فمن له يزاد ومن ليس له يؤخذ منه ما هو له[١٠٠] فالعبد الصالح بعد ان يستنفد قواه في عمله عليه ان يقول : « انا عبد بطّال انما فعلتُ ما كان يجب عليّ فعله » (لوقا ١٧ : ١٠) ومماشاة العمل الانساني الشاق للعمل الالهي توفّر اطراد نمو الملكوت اطراداً مستمراً في الجماعة الارضية التي يتجسّم فيها وفي كل عضو من اعضائها . ومثل الحصاد الذي ينمو من تلقائه نمواً مطرداً (αὐτομάτη) بعد ان القى الانسان البذار يبين بوضوح كيفية هذا النمو فالارض « نبت فيها الحشيش اولاً » ومن ثم السنابل وبعد ذلك وفر القمح في سنابلها (مرقس ٤ : ٢٦—٢٩) .

وتدخل في ذهننا امثال حبة الخردل (مرقس ٤ : ٣٠—٣٢ ؛ متى ١٣ : ٣١—٣٢ ؛ لوقا ١٣ : ١٨—١٩) والخمير (متى ١٣ : ٣٣ لوقا ١٣ : ٣٣ لوقا ١٣ : ٢٠—٢١) فكرة عن هذا النمو التي هي من الناحية الاجتماعية اكثر مما هي من ناحية الملكوت .

وكما يتفاوت الناس في المجتمع بعضهم عن بعض كذلك في الملكوت فهناك من لا يستحقونه : الزؤان والاسماك الرديئة التي يطرحها المعلم لكي لا يبقى فيه غير الابرار ليتمتعوا بملكوت الآب (متى ١٣ : ٢٤—٣٠ ؛ ٣٦—٤٣ ؛ ٤٧—٥٠ .

وتطلعنا هذه الكلمات على حالة الملكوت الاخيرة الذي لا يحين حينه تماماً ويتم الا في الملكوت المسيحي اي ملكوت الخمر الجديد والمائدة المعدة للمختارين (لوقا ١٤ : ١٥—٢٤ ؛ ٢٢ : ١٦—١٨ ، ٢٨—٣٠) مرقس ١٤ : ٢٥) وملكوت المكافأة الابدية او السماء او جهنم (مرقس ٩ : ٤٧ ، لوقا ١٣ : ٢٥—٣٠) شكل ملكوت الانقضاء . وفي سبيل استيفاء هذه الاقوال بشأن ملكوت الله لنشر بايجاز الى بعض الخيرات التي تأتينا بها والتي ستكون فيما بعد موضع

تأملنا بها ملياً وسعنى ان غاية الملكوت هي ان تجعل اخواناً كثيرين للمسيح وان تعدّ النبوّة الالهية للبشر ويسمنا التسليم باننا حصلنا على ان نتحالف مع الله تحالفاً جديداً ابدياً بواسطته تحالفاً يشتمل على كل الخيرات الروحية وقد عرفنا ان النعم الالهية قد وصلت الينا بواسطة يسوع وفيه لانه الوسيط الوحيد بين الله والبشر.

ولا يعجزنا تعريف هذه المملكة واستنباط خصائصها الجوهرية : فهي نظام الخلاص الذي بدأ بيسوع ليتمم نظام العهد القديم.

ولهذا النظام اشكال عدة فهو تعليم يساغه المؤمنون وحدهم وهو مجتمع على شاكلة هيكل عضوي لا ينفك تاماً وفق نواميس الحياة ويقوم على هذه الارض متجسداً نوعاً في الكنيسة وهي حالة المجاهدة النافعة ولن تبلغ كمالها الا في مملكة الله وهي الحالة النهائية الراهنة حيث يطرح منها من لا يستحقها وحيث تفوز بالخيرات الالهية بدون مانع او تحفظ فهي نموذج الخيرات الفائقة الطبيعة ومجموعها التي وهبت لنا مذ كنا على الارض ولن نبلغ ذروة كمالها الا في السماء.

ولئن تشابهت هاتان المملكتان واختلفتا في آنٍ واحد فان احداهما لا تنقض ابداً الاخرى مما تسفر نتيجته عن اندفاع حيوي مستمر لا يقاوم الا هو اندفاع الحياة نفسها. ولقد رأينا هذا الاندفاع في عمله المادي الابداعي فكيف به في اندفاعه في عالم الحياة الالهية طالما لا تنقطع النعمة عن السير صعداً نحو المجد.

فهل باستطاعتنا ان نستعرض تعاريف ملكوت الله؟ انه النعمة والمجد[١٠١] انه ملحمة الخلاص برمتها[١٠٢] انه الاله الذي اتخذ بخليقته الانسان برباط المحبة المتبادل الازلي[١٠٣] وبكلمة واحدة نستطيع القول بشكل اوفى واقوى « انه المجتمع المؤلف من اناس فازوا بالبنوّة الالهية بواسطة يسوع المسيح التي حوفظ عليها وتمت في هذه الارض بالكفاح وذلك بفضل وساطة مخلصنا وازدهرت ظافرت في العالم الاخر بشبهها التام بسيدنا يسوع المسيح[١٠٤]

عقيدة اليهود في مجيء المسيح المخلص

كان معتقد ورجاء الشعب الاسرائيلي فيما قدر على حياته من متناقضات وتعرضت اليه من خطر على بزوغ عهد ذهبي في المستقبل وعدم بحلوله رجال دينهم وكان الامر المهم في ذلك ان يعاد بناء الشعب المختار وانتصاره منذ ينبثق فجره وهو العهد الذي يفضي الى العدل والايمان المطهر وذلك بواسطة ضداقتهم لله .

وكانوا يعتقدون ان مملكة اسرائيل ستشيد في فلسطين التي كانت تتجلى لهم على غير شكلها او في مكان آخر مثالي لا يداني تساميه تسام حتى كادت تلتبس في مخيلاتهم بالسماء وان جميع الامم مدعوة مبدئياً لتشاطر هذا الشعب المقدس حياته الآمن بحيث الواقع فان اعتقادهم ان المسيح سيفتدي كل البشر على السواء قد افسح معه مجالاً لاعتقاد آخر مآله ان الفداء سيكون للشعب اليهودي وحده اما الشعوب الاخرى فلن يكون لها نصيب فيه ما لم يهتدوا قلباً وقالباً .

والامر الرئيسي في مختلف تلك المناظرات التي دارت حول مجيء المسيح المخلص في عقيدتهم هو اعادة تشييد ملك اسرائيل القومي اما المسيح نفسه فيحتل فيها مقاماً يكاد لا يؤبه له .

وبما ان عقيدة اليهود في مجيء المسيح المخلص هي العنصر الرئيسي في الوحي القديم فقد كان على يسوع ان يحقق بنفسه هذه النبوة الرئيسية : ولكن كيف؟ وحيال هذا الامر ترانا امام قضايا اربع لا نستطيع التسليم بها : الاولى ان يسوع لم يعرض نفسه كمسيح اما الادلة التي تشتمل عليها الاناجيل حول هذه النقطة ولا سيما انجيل مرقس فهي من ابتداع الكنيسة[١٠٥] ثانياً بحسب قول البروتستانت الاحرار ان يسوع لم يمنح هذا المعتقد الا مقاماً ضئيلاً ومن الدرجة الثانية . ثالثاً ان يسوع لكي يجاري نفسية المحيط قد وضع نفسه ضمن دائرة[١٠٦] عقيدة اليهود في مجيء المسيح المخلص ولكن بدون ان يدخلها تماماً[١٠٧] رابعاً ان يسوع الذي تملكت مشاعره عقيدة اليهود بمجيء المسيح المنقذ الرمزية قد جعل نفسه المسيح المقبل[١٠٨]

وفي سبيل نقض هذه النظريات لنثبت ما كانه شعور يسوع واية افكار اراد ان يضرمها في عقول تلاميذه . انه لما كان آتياً ليتمم النبوءات فقد اراد ان يحقق عقيدة اليهود بمجيء المسيح المنقذ . ولكن اية عقيدة هذه ؟ .

لقد كان معظم اليهود يتصورونها من الناحية المادية وان المسيح لن يخلص سواهم[١٠٦] اما يسوع فارجعها الى اطارهـا الحقيقي الا هو ملكوت الله والعهد الجديد الذي لا يستطيع تحقيقه الا ابن الله . وكيف السبيل لحمل السامعين على قبول وجهات نظر لم يكونوا أعدوا لها الا اعداداً قليلاً وهي مخيبة للامال الى هذه الدرجة . ؟ فبهذه المناسبة اتى يسوع بادلة من شأنها تنوير عقول ذوي الارادة الحسنة ولا سيما قد احيا رسالته كمسيح الهي بجذافيرها فيعرف المؤمنون شيئاً فشيئاً بواسطة اعماله من هو وما هو المسيح الحقيقي .

ولقد حاول مؤرخون تمييز منشإ شعور يسوع بعقيدة اليهود بمجيء المسيح المخلص وكيفية نموها فذهبت محاولاتهم عبثاً[١١٠] . وليست المعمودية هي التي اوقظت فيه شعوره بالمهمة التي عليه ان يتمها : ان صوت الآب يعني منزلة اخرى الا هي منزلة ابن الله احد اقانيم الثالوث الاقدس التي تخوله انجاز عمل المسيح . وقد اظهرته التجربة شاعراً كل الشعور بالخطة التي عليه ان يتبعها وهي تناقض المناقضة كلها معتقد اليهود بمجيء المسيح المخلص الزمني ذلك المعتقد الذي اوعز به المجرِّب .

واتم يسوع رسالته كمسيح فبشر بانجيل الملكوت واعلن في خطبته على الجبل ميثاق مملكة السماوات المفتوحة للصغار . وتدخله بشؤون الهيكل منذ ظهر للمرة الاولى في اورشليم يؤكد في آنٍ واحد حقوقه كابنٍ وحقوقه كمسيح (يوحنا ١٨ : ٢١ لوقا ٢ : ٤٩) ولئن اكثر صنع المعجزات فلكي يحث الجمهور على ان يرى فيه اكثر من نبيٍ وعلى رغم تحريم السلطات الاضغاء اليه فقد تساءل الكثيرون عما اذا لم يكن المسيح[١١١] ولقد سمعناه يكشف القناع شيئاً فشيئاً عن رسالته كمخلص وفادٍ ومسيح روحيٍ فقط .

وما خلا ذلك لقد تلفظ يسوع باقوال واتى اعمالاً تنمّ عن امور كثيرة . نعم انه لم يقل عن نفسه هو المسيح[١١٢] كما لاحظ ذلك اوريجانوس ولم يجب صراحة على هذه النقطة لما طرح عليه مستنطقوه سؤالاً بشأنها (يوحنا ١٠ : ٢٤

٢٥) وذلك لانهم لم يكونوا بدرجة من النضج ليفهموا هذا الوحي ولانهم كانوا يتصورون المسيح كبطل قومي موزع للمنّ (يوحنا ٦ : ١٤ ، ١٥) . ومع ذلك فقد اظهر نفسه في احدى عظاته الاولى (لوقا ٤ : ١٦) كالذي بشر به اشعيا (٦١ : ١ وما يلي) ومن ثم بدلاً من ان يجيب فيما بعد على سؤال المعمدان بالايجاب « آانت هو الآتي » فقد تمم اعمال المسيح (متى ١١ : ٤ ؛ ٥ لوقا ٧ : ٢٢) اما تصريحاته بشأن المعمدان السابق (متى ١١ : ١٠ لوقا ٧ : ٢٧) الذي رمز اليه ايليا[١١٣] فتركتنا نسمع بوضوح ان ازمنة المسيح قد تمت به ، وليس دخول يسوع الى اورشليم قبيل الجاز رسالته الا تأكيداً بالفعل لمواعيده التي لم يتجاهلها الجمهور اذ اخذ يهتف « لملك ابينا داود » . ولكن ما له مغزاه هو اختيار يسوع شكلاً لارتقائه العرش من اشد الاشكال اتضاعاً[١١٤] اذ كشف اليوم ذاته للوثنيين الذين ارادوا ان يروه عن رسالته الفداء بمثل « حبة الحنطة التي تقع في الارض لتموت فتأتي بالثمرة » (يوحنا ١٢ : ٢٣-٣٢) اي انه الملك المسيح وليس الفتح والسلطان العام وانما هو المخلص فقط الذي حمل خطايانا واشترانا بآلامه .

ولما ارتأى ان الساعة قد حانت ادلى بتصريحات ظاهرة كان الامر المهم ان يثبت تلاميذه في معرفة مقام معلمهم فاعدهم طويلاً بصبر وبعمل تطهير اخلاقي لكي يكتشفوا بانفسهم الحقيقة فطرح عليهم في اثناء انسحابه بهم بعيداً عن الجمهور هذا السؤال الحاسم : من هو ابن الانسان بحسب شعوركم لا بحسب اقوال الناس ؟

زلسنا نجهل ما فاه به بطرس من جوابه باسم الاثني عشر بعد ان اعترف قبل ذلك ببضعة اشهر بايمان جماعة الرسل بالاله القدوس ، وبعد ان اصبح عنده كلام الحياة (يوحنا ٦ : ٦٨ ؛ ٦٩) الابدية ، كان تصريحه في قيسارية فيليبس اشد وضوحاً : « انت المسيح ابن الله الحي » .

وحقيقة هذا الكلام المشروعة وخصائصه التاريخية اللتان لا توجدان الا في انجيل متى (١٦ : ٦) قد انكرهما النقدة العقليون[١١٥] . ويبدو ان مواقف مغلوطة عديدة قد اتخذت حول هذه النقطة كما اتخذت حول غيرها : فثمت كثيرون يعتبرون ان نص متى الطويل مفهوم اكثر من نصي مرقس ولوقا[١١٦]

اما نحن الذين نسلم بنص الانجيل الاول برمته فقد ادهشتنا موافقته الباعثة على الاعجاب. فبطرس لم يعترف بيسوع انه المسيح فقط بل اعترف بالوهيته لان عبارة « ابن الله » هنا قد اتخذت اقوى معانيها. فكيف توصل الرسول الى هذا الاقتناع ؟ من المحتمل ان يكون يوحنا المعمدان قد علّمه اولاً او انه كان منتبهاً الى الدروس التي كانت اقوال يسوع واعماله تعطيها او انه قد تأثر بجهودات معلمه الاخيرة التعليمية. ولماذا لم يكتشف بخبرته الشخصية عقيدة ديننا الاساسية ؟

ان يسوع لم يتمم لمال اسرائيل فقط وانما هو وحده يستطيع ذلك لانه صاحب كل السلطات بصفة كونه ابن الله. فاقواله التالية تتمم اتماماً في محله هذا التصريح : ان رسالة المسيح يجب ان تواصل تتميما الكنيسة التي تقيم بطرس رئيساً عليها ولا يمكن تحقيق هذه الرسالة الا بفضل آلام المؤسس وقيامته الذي كان اول من خضع لناموس التضحية الشامل « اضاعة النفس في سبيل ايجادها ».

وعند انتهاء مهمته كان تأكيده للحقيقة واضحاً امام السلطات اليهودية وعلى مسمع الامة حتى دفع حياته ثمناً له وقد اجاب يسوع بصراحة على سؤال كبير الكهنة : (هل انت المسيح ابن الله المبارك ؟) انا هو ego sum وانك سترى ابن الانسان جالساً عن يمين قدرة الله وآتياً في السحاب من السماء[١٤٢].

فلنزن جميع كلماته فان قوله « انا هو » لا اكثر من اعتراف وهذه العبارة البسيطة تتخذ في فم يسوع قيمة سامية وهو لم يكتف بما صرّح به وانما زاد باعترافه تفاقم موقفه وقد جعل نفسه السيد الذي تكلم عنه المزمور (١١٠ ، ١) جالساً عن يمين الله الذي دلت عليه لفظة (قدرة) المريقة في يهوديتها. وقبل ذلك ببضعة ايام (مرقس ٣٥ : ٢٧) اوضح تماماً معنى النبوّة الالهية التي تعني المسيح ابن داود وكانه قال بذلك مرتين عن نفسه انه مساوٍ للاب وموحد معه بالجوهر. وقصارى القول ان هذا الايضاح الاخير يجعله واحداً وابن الانسان الذي تكلم عليه دانيال (٧ : ١٣ ، ١٤ : ٢٧) وهو الذي يأخذ سلطانه الابدي من الله : ان ابن الانسان هو ايضاً الملك الالهي.

ولا تدع هذه التصريحات اي مجال للالتباس فان يسوع قد سلك وقدّم

نفسه كمسيح ممارساً رسالته في الملك الذي هو مملكته واعلن في الوقت نفسه ان مملكته الحقيقية معدودة للازمنة المقبلة زمان الانقضاء بعد عودته بالمجد ، والزمان الذي سنشرب فيه الخمر الجديد حيث يتم فيه الفصح الحقيقي (لوقا ٢٢ :١٦ـ ١٨ ، ٢٨ـ ٣٠ ، مرقس ١٤ :٢٥) .

ولقد ردّد المثل التي نعرفه : ان الملك قد بدأ ولن يبلغ تمامه الا في العالم الاخر كما ان يسوع لن يكون « ربًا ومسيحاً » تاماً الا بعد قيامته وبها وذلك بحسب تأكيد بطرس (اعمال ٢ :٣٦) .

وقد احتفظ بالعبارات التقليدية (لوقا ١٤ :١٥) لتعريف الازمنة المسيحية التي علينا ان نفهم معناها من الوجهة الروحية . واذا كان شبّه الطوباويين بملائكة السماء الذين لا يتزوجون (مرقس ١٢ :٢٥) فكيف يفسر حرفياً الولائم السماوية ؟

وينجم عن هذا ان المسيحي عليه ان يؤمن بمجيء المسيح مرتين ايماناً تنقبض له نفس اليهود[٨٥] فانه قد ظهر لعمل شائك وسيعود بمجد للدينونة . ومهما يكن من امر فان الازمنة المسيحية قد انفتحت ابوابها .

ولقد كان المسيحيون موقنين منذ العنصرة انهم يحيون الازمنة المسيحية . فبطرس عندما اراد ان يعرّف هذا العهد الموسوم بحلول الروح القدس استخدم عبارة « انقضاء الدهور » « الايام الاخيرة » (اعمال ٢ :١٧) وهذا الاقتناع الذي هو خبرة ايضاً يوجب علينا ان ندرك بصورة جديدة ضروب الرجاء المسيحية : مع الاحتفاظ بحرفية النبوات على شرط ان نفهم ايضاً ان الخطط المسيحية ستتم تدريجاً .

وما اشد الصعوبة التي تلاقيها بعض العقول للاقلاع عن الاستمساك بمفهوم رؤيا يوحنا بشأن ملكوت الله التي تجعل ظهوره فجأة مصحوبا بكارثة ثورية والتخلي عن الايمان بعودة المسيح قريباً .

شمول ملكوت الله

لقد سمعنا في تبشير يسوع بملكوت الله لغة ذات جرس يهودي ولكننا لم نرَ في اي موضع كان اشارة الى أن الملكوت مقصور على اليهود وحدهم وهذه

خاصة الاسرائليين[١١٩] . ان ملكوت الله الذي اعلنه يسوع كما اعلن مجيئه كمخلص لا تشوبها وجهة نظر قومية او عرقية او مادية : فبذار الكلمة قد نشره ابن الانسان في العالم برمّته (متى ١٣ : ٣٨) وقد ضحّى براحته في سبيل جميع البشر (متى ١١ : ٢٨) باعلانه انه متى ارتفع سيجذب اليه الجميع (متى ١٢ : ٣٢) وبمبدئه « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (مرقس ١٢ : ١٧) قطع الرباط الوثيق الذي كان يوحّد بين الامة والدين في اسرائيل وحرّم على كنيسته التطلع الى الاهداف السياسية،وفضلاً عن ذلك فقد اجتهد لازالة اية قومية كانت . وقد كان باستطاعة اليهود ان يطالبوا بالملكوت بحجة بعض حقوق بكوريتهم لانهم من ابنائه من حيث ولادتهم : اما يسوع فاعلن مرات عدة ان الوثنيين سيحتلون مراكز اليهود[١٢٠] وتنبأ بخراب الهيكل والمدينة المقدسة . وذلك مما يفرض زوال مملكتهم[١٢١] .

وحارب المعمدان كبريا. اولئك الذين يعتقدون انهم واثقون بالخلاص بصفة كونهم من ابناء ابراهيم (لوقا ٣ : ٨ ، متى ٣ : ٩) وكذلك المسيح فقد ابى على مخالفيه ان يكونوا على حق في قولهم عن انفسهم انهم ابناء ابراهيم (يوحنا ٨ : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤) .

وقصارى القول لقد كانت القومية الدينية تشتد اشتداداً مفرطاً حتى بانت من العلامات الوثنية الفارقة لان اليهود كانوا يعلقون اهمية عظمى على التقيد بشرائع موسى بدقة حتى غدت من اسباب اعتقادهم ان المسيح سيجيء لاجلهم فقط فكان ذلك من الدواعي التي اهابت بيسوع لمجابهة ممارستهم تلك الشعائر التي كونت الشكلية اليهودية : كقوانين الطعام وقواعد التطهير وتزييد العشور والحفاظ على يوم السبت وقال لهم : ان الدين بالروح والحق (يوحنا ٤ : ٢٣ — ٢٤) .

ولاحظ بحق ل. توندلّي « L. Tondelli » ان التناقض بين سر الافخارستيا وعشا. الفصح وبين الصلاتين « ابانا » وشبيهتها « قاديش » قد جعل هذه الرحابة الدينية تحتل مقاماً مرموقاً[١٢٢] .

ومع ذلك فقد اتخذ يسوع بعض المواقف التي ناقض فيها نزعات الشمول كاعلانه تفوّق اليهود (يوحنا ٤ : ٢٢) على شاكلة القديس بولس الذي عُدّ احياناً

من اعداء اليهود لانه كان من اشد القائلين بان رسالة المسيح تشمل جميع البشر بامتداحه ميزات اسرائيل . ويسوع نفسه لم يشأ في حياته ان يوجّه كلامه الى غير اسرائيل حتى ردّ بقسوة الكنعانية لهذا السبب (متى ١٠:٦؛ ١٥:٤٢) . ولئن كان هذا صحيحاً فانه في خطابه بشأن مهمة تلامذه الحاسمة فقد ارسلهم الى جميع الامم (متى ٢٨:١٩؛ ٢٤:١٤؛ ١٠:١٧-٢٣؛ ٢٦:٢٧) واعدهم لهذه الرسالة الشاملة وبيّن لهم كيف يقبلون الغرباء . (يوحنا ٤:٩ وما يلي لوقا ١٧:١٦-١٨؛ ٧:٢-٩) اما رسالتهم العالمية فلم يستطيعوا مباشرتها الا بعد موت معلمهم وقيامته الفدائيين وعقب حلول الروح في العنصرة وهو وحده يزيل الغشاوة عن بصائرهم وعن احتكاماتهم الخاطئة ويجعلهم يقاومون غريزتهم اليهودية .

ملكوت الله والانعتاق من الخطيئة

« توبوا فان ملكوت السماء هنا » . هكذا اوجز القديس متى (٤:١٧) عظات يسوع الاولى . ان عهد الملكوت يتطلب قبل كل شيء تطهير الباطن تطهيراً كاملاً فلذلك كان للخطيئة ان تحتل مقاماً هاماً في تعليم يسوع ؛ لان رسالته لم يكن غرضها الرئيسي غرضاً سلبياً ولكن عليها ان لا تغضي النظر ابداً عن العدو القائم بالمرصاد في اي موضع كان ولا ان تكلّ عن كشف اثره ومطاردته .

في الخطيئة عامة

كيف فهم المعلم الخطيئة[١٣٣] ؟ انه لم يأتِ بالنظريات حول هذه النقطة ولا حول غيرها فهو يتكلم عادة على الخطايا بصيغة الجمع وعلى خطايا معيّنة[١٣٤] وهو يقف منها بخاصة من حيث وجهة النظر العملية ولم يعمد الخطيب «الواعظ» الشعبي الى التعاريف وانما رأى فيها بالاستناد الى المقولات التقليدية انها انتهاك « ارادي » للارادة الالهية التي اعربت عنها الوصايا ، ولنقف عند النعت «ارادي» ثم ان الدين اليهودي كان يصف الخطايا بانها انتهاك الشريعة المادية المحض انتهاكاً متأتياً عن طريق السهو[١٣٥] . واوضح يسوع بشكل غير جليّ ان سبب

الخطيئة الانساني هو القلب وحده اي ـ وفقاً لتاريخ التوراة ـ قوة الانسان العقلية ومركز افكاره ورغائبه ومصدر احتكاماته[١٢٦] . وفي هذا النحو نفسه اعلن كخطايا الافعال الباطنية التي تكون اخطاء مقصودة في الاصل (متى ٥ : ٢٢، ٢٨) .

ان ابن الله الذي يتغلّل الى ما وراء الظواهر يرى في الشيطان مبدأ الخطيئة الاول : في الذي لم يثبت على الحق وهو كذوب وقتال الناس (يوحنا ٨ : ٤٤) . ان الخطأة هم ابناء الشرير (متى ١٣ : ٣٨ يوحنا ٨ : ٤١، ٤٤) فقد تركوا انفسهم يسقطون في شباك المجرّب الدائم (مرقس ١٣ : ٣٣،٨) الذي تلمس عمله الاحتيالي في بعض الخطايا (متى ٥ : ٣٧ ؛ ١٣ : ٣٩ مرقس ٤ : ١٥ يوحنا ٨ : ٤١، ٤٤) . ان مكافحة عدو المملكة هي في جوهرها عمل طويل للتطهير من الخطيئة .

وانه لمشروع انعتاق لا يستطيع القيام به الا الابن وحده وهو الذي يثبت في البيت الابوي وكما اعلن يسوع لليهود في خطاب من انجيل القديس يوحنا (٨ : ٣٢ – ٤٤) .

ويلازم عبوديّة الخطيئة دائماً التخلي الحقيقي عن الباري كما اوضح مثل الابن الشاطر الذي سافر بعيداً عن ابيه واستسلم الى شهوات شبقه الجانشة فانتهت به الى ان تجعله احط من الخنازير التي كان يحسدها على طعامها (لوقا ١٥ : ١١ – ٣٢) وصوّر هذا المثل حالة الخطيئة كموت وهلاك وكلاهما ينقض الحياة[١٢٧] الموهبة الوحيدة الحقيقية التي لا تقوى اية هبة اخرى على تعويضها او ان تستردها (مرقس ٨ : ٣٦، ٣٧) متى ١٦ : ٢٦ لوقا ٩ : ٢٥) . والذي يعرب عن تخلينا عن الله هو عدم معرفته (يوحنا ٥ : ٣٧ ؛ ٨ : ٥٥ ؛ ١٦ : ٥) ومحبته (يوحنا ٥ : ٤٢) .

ونفهم بالخطيئة انها دين علينا لله كما في اللغة العبرية (متى ٦ : ١٢ ؛ ١٨ : ٢١ – ٢٥) وانها وصمة ولطخة (متى ٢٥ : ٢٥ – ٢٨) . ولقد كان اليهود يطبّقون مبدأهم القائل بان المكافأة لا بدّ منها تطبيقاً اعتباطياً ولذلك كانوا يرون في كل مرض طبيعيّ قصاصاً على الخطيئة : اما المسيح فقد دحض دحضاً جازماً هذا المعتقد الذي كان تلاميذه يعتنقونه (يوحنا ٥ : ٢ – ٣،

لوقا١٣: ٢؛٤) ودعاهم ملحًا الى ان يتوبوا لئلا يهلكوا مثلهم (لوقا١٣: ٣؛٥) كما دعا المقعد (المخلع) الذي شفاه «ان يرتدع عن الخطيئة لئلا يصيبك ما هو اعظم» (يوحنا ٥: ١٤).

وقد غفر للمقعد آخر خطاياه قبل ان يشفيه (مرقس ٢: ٥): لانه كان يرى صلات عدة من الشبه تربط المرض الطبيعي بالمرض الروحي. واذا كان يرى بنظره الالهي الثاقب ان الخطيئة شاملة في نفس كل من البشر شمول الطبيعة الانسانية علمنا ان نطلب من الله ان يسامحنا. وانه لاحسان نفتقر اليه افتقارًا ماسًا كافتقارنا الى خبزنا اليومي كما لاحظ ذلك القديسان قبريانوس واوغسطينوس[١٢٨] فقد قدم للجميع وسيلة الانعتاق من الخطيئة التي كلنا عبيد لها (يوحنا ٨: ٣٢-٣٤) واوضح للبشر زلاتهم (يوحنا ٧: ٧؛ ٨: ٤٠؛ ٣:١٨؛ ١٩) واتب هذا الوديع الحلو الجيل الحاضر بقوله له «الجيل الشرير الفاسق وابن الافاعي» (متى ١٢: ٣٤؛ ٣٩: ١٦؛ ٤؛ ٢٣: ٣٧ لوقا ١١: ٢٩) وارسل تلاميذه الى ما بين الذئب (متى ١٠: ١٦) فيا له من قلب يفهم الامور في حقيقتها قال: «ومن كان منكم بدون خطيئة ليرمها بالحجر» (يوحنا ٨: ٧).

مخلص الخطأة وطبيبهم

بما ان يسوع ادرك شمول الخطيئة وخطورتها واستشعرهما ادراكًا واستشعارًا مختلفًا كل الاختلاف عن سواه فهو الوحيد الذي يستطيع ان يكون مخلصنا. ولم يأخذ لقب المخلص من الاناجيل ولا من الملائكة (لوقا ٢: ١١ متى ١: ٢١) ولا من السامريين (يوحنا ٤: ٤٢) واذا اكد هو نفسه انه اتى جالبًا الخلاص لجميع الذين كانوا ضالين:[١٢٩] فحقق بذلك رجاء النفس اليهودية ورغبتها العميقتين تلك النفس التي كانت تطمح الى الخلاص وتفهم به غالبًا خلاصًا خارجيًا على ان الخلاص الذي جاء به يسوع هو بمعناه السلبي اولاً – الانقاذ من الخطيئة – وفي الواقع انه خلاص ايجابي لكونه التدرج صعدًا في طريق الفضائل التي تمد وتكون الحياة الحقيقية والاشتراك بالحياة الالهية المضمونة منذ الآن في العالم الثاني بجميع كمالها الذي لا يزول[١٣٠]. ولقد كان موقف يسوع حيال

الخطيئة موقفاً خاصاً به دون غيره فلذلك من المستحيل ان نسلم بذلك الموقف اذا كان يسوع انساناً : فقد بدا انه فوق الخطيئة تماماً وفي الوقت نفسه انخرط شخصياً بالانسانية المثقلة بالخطيئة .

وبما انه فوق الخطيئة : فقد تحدى اعداءه تحدياً لا يقدم عليه اي انسان كان « من منكم يثبت عليّ خطيئة ؟ » (يوحنا ٨ : ٤٦) وفي الواقع لم يتخذ قط شكل تائب[١٢١] ولما قال لنا « ان لم تغفروا » فقد فصل وضعه عن وضعنا ولما امر بالصلاة « اغفر لنا ذنوبنا » فان امره كان الى الغير (متى ١٨ : ٢١ - ٣٥ ؛ ٦ : ١٤ ؛ ١٥ ؛ مرقس ١١ : ٢٥) .

وقد اراد في الوقت نفسه ان ينخرط في هذا الكفاح ضد الخطيئة ولكن ليس كانه مخلص يشرف من علُ على المعركة بل كالجندي الضابط الذي يتحمل بذاته اثقل اعبائها ومخاطرها ومشاقها . فبدأ حياته العامة بان ذهب الى يوحنا وطلب اليه ان يعمده لمغفرة الخطايا . وما هي الخطايا التي طلب ان تغفر له ؟

ونحن نشعر كل الشعور بمدى انطباق مجادلته مع يوحنا المعمدان على الحقيقة[١٢٢] (متى ٣ : ١٤ - ١٥) وذلك عندما احتج المعمدان قائلاً انه هو الذي ينبغي له ان يعتمد فاجابه يسوع « دع الان فهكذا ينبغي لنا ان نتم كل برّ » فانا قد جئت اولاً لخلاص اخواني الخطأة ومن المناسب ان اتخذ مكاناً بينهم وانفصل عن الفريسيين المتكبرين الذين يعتقدون انفسهم بدون خطيئة . فعليك اذاً ان تتم رسالتك كسابق . واننا ندرك السبب الذي من اجله لقب المعمدان يسوع « بحمل الله الذي يرفع خطايا العالم » (يوحنا ١ : ٢٩ ؛ ٣٦) هذا اللقب الذي يشتمل على معان عديدة : ان المعمدان كان قد تأمل بخادم « يهوه » الذي بشر به اشعيا فصل (٥٣) الذي ادرك قيمة فداء حمل الفصح وحملان التضحيات الدائمة فاشار الى الذي ستكون تضحيته الكاملة مبدأ الخلاص الابدي[١٢٣] . وبما له مغزاه ايضاً ان يسوع اراد ان يمكث بعض الوقت حول المعمدان وبين الذين قبلوا معمودية المغفرة ، وقد حاول ان يقضي طول المدة الباقية من رسالته بصحبة الخطأة . وزد على ذلك فانه رغب في سبيل التدليل على مدى تضامنه مع الخطأة ان يتجشم المحنة التي يجوز بها كل مخلوق

الا هي التجربة ولئن رددتها جميع التقاليد الانجيلية فلكي تشير الى اهميتها الرئيسية في مهمة المخلص[١٣٤] .

واننا لا نجهلها لانه اراد ان يجربنا بها وهو لم يتجشمها الا في سبيلنا وعطفاً على ضعفنا كما جاء في الرسالة الى العبرانيين (٢ : ١٨ ؛ ٤ : ١٥) . والتجربة لم تهدف الى شهوات المسيح الثلاث لانه كان معصوماً عن الشهوة ولكنها عرضت بشكل مثل بالفعل اختياره الصلب الذي كان مفروضاً على المسيح البادى. مهمته بحسب المفهوم النبوي والالهي او بحسب المفهوم الذي كان يصطنعه اليهود لانفسهم : اي بحسب وجهة النظر الالهية او الانسانية التي شددت ساعد عدو ملكوت الله وهنا قام المجرب بتدخله لا كشيء غامض قد اتخذ شكلا شخص. وانما كفرد حقيقي . أو لم يكن لموحياته التي تبدو كانها لا تهدف الا الى العقل دوي على الشعور كما في نزاع يسوع على الجسماني ؟ وبما اننا نسلم بان في المسيح معرفة اختبارية حقيقية فاننا نفكر كما جاء في عبارة الرسالة الى العبرانيين (٥ : ٨) انه قد توصل بالالام الى معرفة الطاعة : فلذلك كانت التجربة حقيقية كاملة « ما عدا الخطيئة » ولقد استخدم المجرب جميع ضروب الاغراء التي لا تقاوم : ويهرج في نظره ـ متوسلا بالنصوص المقدسة ـ الفوز المضمون لرسالة الهية : اي ان ابن الله يستخدم سلطانه فيظهر نفسه المسيح المنتظر موزعاً على الشعب المنّ كموسى ولا يظهر راكباً اتاناً بل نازلاً من الغيوم وصاحب مملكة شاملة . واجاب يسوع على هذه الوساوس معلناً المبادىء التي تسيّر كلّ ابن لله: وقال ان الاوامر الالهية اسمى من كل الخيرات المادية . ومن الكفر ان نفرض على الله ارادة خارجية فان السعي وراء السلطة حباً بالسلطة نفسها لا يكون من دون التواطىء مع الشيطان ومن دون تجاهل الواجب الاسمى الذي يقوم على عبادة الله وحده وخدمته .

ولم يفتّ هذا الاخفاق في عضد الخصم الذي ابتعد لبعض الوقت ليعود الى متابعة عمله بواسطة الفريسيين وغيرهم من معلمي الدين اليهودي فتدخل خاصة في اثناء الآلام التي هي من صنعه (لوقا ٢٢ : ٥٣) ولا سيما عند الاحتضار على الجسماني الذي كان التجربة الكبرى فساق خضوع المسيح بدون تحفظ لوصية ابيه الى تقدمة التضحية الكاملة الحاسمة وانجاز هزيمة الشيطان .

وعقب ان علّمته محنهُ استطاع المخلّص ان يتمم وظيفته كطبيب للخطأة .
فاظهر لهم هذه الرحمة وهي الشرط الاول لكل اخلاص « اني اتحنن على الجماهير المطاردة مثل الخراف بدون راعٍ » (متى ٩:٣٦) وبرهن على ذلك بان اظهر نفسه « كصديق للعشارين والخطأة (متى ٩:١١) كما يؤخذ من الملامة التي وُجهت اليه : ومآلها ان الخطأة هم انفس مثقلة بالخطايا العديدة (لوقا ٧:٤٧) وهم هؤلاء البسطاء الذين يحتقرهم علماء الشريعة ويلعنونهم لانهم لا يعرفون الناموس (يوحنا ٧:٤٩) ان يسرع كان يرى بؤسهم وكان يعرف ايضاً نيتهم الحسنة فصرح للفريسيين قائلاً : « ان العشارين والزناة يسبقونكم الى ملكوت الله » (متى ٢١:٣١) . ولقد جزم جزماً قاطعا بان هذه هي رغبة الله « يكون في السماء فرح بخاطئ واحد يتوب اكثر مما يكون بتسعة وتسعين باراً لا يحتاجون الى التوبة (لوقا ١٥:٧) . أولاً تتضمن هذه الكلمات الاخيرة بعض التهكم ؟ اننا لا نجهل الامثال التي تستغرق فصلاً في انجيل القديس لوقا (١٥) (ذلك التشكّي على مراحم الله) : الراعي الصالح الذي ركض وراء النعجة الضالة والمرأة السعيدة لانها وجدت الدرهم المفقود والابن الشاطر . ان هذه الروايات المؤثرة كل التأثير تطلعنا على تسامح الاب فعودة النعمة من صنعه وهو يكتفي بندامة غير كاملة : اي بالعودة الى الذي يعدّ لها الخبز بغزارة . فعلى هذه الاستعدادات ولو مهما كانت منحطة يجيب باغداق النعم وبالخاتم الذهبي وبالوليمة الفاخرة ان هذا الشيء يشكك الابن البكر ويحمله على المعاندة لانه لم يغادر المنزل واننا افنى نفسه في خدمته ولترَ في هذه الصورة وجه الفريسيين الذين كانوا يعتقدون انفسهم بدون خطيئة فيُنبذون من الخلاص واننا نسمع وفراتصنا ترتعد الكلمات التهكمية المخيفة التالية : « الاصحاء لا يحتاجون الى طبيب وانا لم آتِ لادعو الابرار ولكن الخطأة » (مرقس ٢:١٧ = متى ٩ ١٣ لوقا ٥:٣٢) . الابرار وهم الذين يعتقدون انفسهم ابراراً على حين انه ما من احد الا وهو خاطئ .

ومما مرّ بنا نفهم ان الشرط الاول لشفائنا هو الشرط الذي رأيناه لاسرائيل وقد اوضحته بعض الزبور ايضاحا باعثاً على الدهشة (٥١:٣-٥ ؛ ٧:١١ ؛ ٢٥ ١١ ؛ ٣٢:١ ؛ ٢:٥) : اي ان نعترف باننا من عبيد الخطيئة (يوحنا ٨:٣٢

– ٣٤) فنستشعر ذلنا (لوقا ٥ : ٨ ؛ ١٨ : ١٣ ؛ ١٤) ونحس بحاجتنا الى الطبيب .

وهناك موقف اخر يستحيل معه كل شفاء الا هو الموقف الذي دعاه يسوع بالتجديف على الروح القدس (مرقس ٣ : ٢٩ ؛ ٣٠)[١٣٦] اي هذا الموقف المتحيّز الذي اساسه الكبرياء يحول دون كل اخلاص حيال الله وحيال الانسان ذاته ليجعل غشاوة على البصيرة فلا يستطاع فهم اوضح الموحيات كبعض الامثال وكتفسير الايضاحات الالهية تفسيراً معكوساً .

ان الخاطىء الذي يعرف نفسه كخاطىء ويلجأ الى ابن الله للانعتاق من عبوديته عليه ان يتوب لان التوبة تحتل مقاماً مرموقاً في التوراة وفي ديانة اليهود التي لا يحتاج يسوع الى تعريفها[١٣٧] . ولقد الحّ يسوع منذ بدأ بالتبشير على المطالبة بها كما رأينا . والظاهر انه يأمر بتوبة مزدوجة : التوبة التي تخرجنا من الخطيئة والتي هي الاعتراف بالزلة والتعويض عن الاضرار التي سببناها (لوقا ١٥ : ٧ ؛ ١٠ : ١٩ ؛ ٨) والاخرى التي ندعوها « التوبة الثانية » وهي الاستمرار في اصلاح النفس (لوقا ١٣ : ٣ ؛ ٥ متى ١٨ : ٣) واذا ما اقترنت بالايمان فهي الاستمساك بالانجيل (مرقس ١ : ١٥ يوحنا ٢ : ٢٤ ؛ ٨ : ٢٤ ؛ ٩ : ٤١ ؛ ١٢ : ٣٧ ؛ ٤٠) .

والنفس المتاهبة تأهباً حسناً يسعها الفوز بمعرفة خطاياها وهي احدى حسنات العهد المسيحي[١٣٨] واحد عناصر العهد الجديد الجوهرية[١٣٩] وجزء من الرسالة التي فرضها على التلاميذ القائم من بين الاموات (بشروا باسمه كل الامم بالتوبة لمغفرة الخطايا (لوقا ٢٤ : ٤٧ يوحنا ٢٠ : ٢٣) .

وسبق ليسوع ان ذكر مغفرة الخطايا عندما استخدم سلطانه الالهي لشفاء المخلع الذي استحق بايمانه ان يبرأ من مرضه (مرقس ٢ : ١ = لوقا ١٧ : ٢٦ متى ٩ : ١ – ٨) ومن ثم غفر للزانية الخاطئة . واذا تدبرنا قوله لهذه المرأة « قد غفرت لها الخطايا الكثيرة لانها احبت كثيراً » اتضح لنا ان الندامة الحقيقية اساسها المحبة وبها تتوطد[١٤٠] .

ويشير ما تقدم الى اهمية مغفرة الخطايا التي أعطيناها بالمسيح « حمل الله الذي يرفع خطايا العالم ويعمد بالماء والروح القدس » (يوحنا ١ : ٩ ؛ ٣٣ ؛ ٥٣)

وفي كلتا الحالتين ليست المغفرة اغتسالاً يمحو اللطخات وانما هي قبل كل شي حلول نعمة الله المؤلهة .

وقد وكل المسيح الى كنيسته تحديد ناحية هذين السرين الايجابية الاول الذي يجعلنا نندمج بالمسيح والثاني الذي يثبتنا باتحادنا معه. اما المقام الذي اعدّه للمحبة فيهما فيلقي في اسماعنا ان التوبة المسيحية تدخلنا في قلب مملكة الله لنتمتع بكل امتيازاتنا بصفتنا ابناء الله.[141]

(1) Fiebig, *Der Menschensohn, Jesusselbstbezeichnung*, Tübingen, 1901; Tillmann, *Der Menschensohn*, Freiburg i.B., 1907; Roslaniec, *Sensus genuinus et plenus locutionis «Filius hominis»*, Romae, 1920; Dupont, *Le fils de l'homme*, Paris, 1924; G. P. Wetter, *«Der Sohn Gottes», eine Untersuchung über den Charakter und die Tendenz des Johannes-Evangeliums*, Göttingen, 1916; P. Parker, *The meaning of «Son of man»*, JBL, 1941, p. 151-157 (pas de signification messianique); Campbell, *The origin of the term son of man*, JTS, 1947, p. 155-169; Riensenfeld, *Jésus transfiguré*, Append. I, p. 307-313 (bibliographie); J. Bowmann, *The Background of the term, S. of M.*, Exp. T. aug. 1948, p. 283-288.

(2) Le terme est 30 fois dans *Mt.*, 14 en *Mc.*, 25 en *Lc.*; 11 en *Jn.* Exceptions: un seul synoptique ayant l'expression: *Lc.*, 6,22; *Mt.*, 16,28; 21,13; en partie *Mc.*, 8,31.

(3) *Le Fils de l'homme*, p. 36, sqq.; *Jn.*, 5,27 modifie l'expression.

(4) Dalman, *Die Worte Jesu*, p. 191-197 (étude philologique); Baldensperger, RHPR, 1925, p. 267, explique cette forme singulière par l'influence du sémitique.

(5) Erik Sjoeberg, *Der Menschensohn im aethiopischen Henochbuch*, Lund, 1946 (affirme l'authenticité du terme dans le livre éthiopien); quelle forme y avait-il? Barret, Exp. t. 1947, p. 147, sqq.

(6) Le livre a été rédigé après la ruine de Jérusalem: il contient des documents et des traditions antérieurs: cf. L. Gry, *Les dires prophétiques d'Esdras*, Paris, 1938, p. 362-377, préface p. C, sqq.; Lagrange, *Messianisme*, p. 102-109; notre *Judaïsme palestinien*, I, p. 373.

(7) Barret (Exp. T. 1947, p. 148) avance que Jésus, aucunement apocalyptique, ne s'est pas inspiré de Daniel.

(8) *Mc.*, 14, 62; 8, 38; 13, 26 et paral.; *Mt.*, 13, 41, 42; 25, 31; *Lc.*, 18, 8; *Mt.*, 24, 27, 37, 39, 44; *Lc.*, 17, 22, 24, 26, 30; 12, 40; 21, 36; on peut rapprocher: *Mc.*, 2, 28, 10 et paral.; *Lc.*, 19, 10 et 9, 56; *Jn.*, 1, 51; 6, 62.

(9) *Mc.*, 8, 31; 9, 31; 10, 33; 14, 21 et paral.; 9, 9; 10, 45; 14, 41, et paral.; *Jn.*, 3, 14; 12, 23; 13, 31; 8, 28; 6, 27, 53. On peut rapprocher: *Mt.*, 8, 20 et 12, 32 paral., 11, 19; *Lc.* 6, 22; 7, 34; 12, 10... Voir: Lebreton, *Origines du dogme de la Trinité*, I, p. 296; Sanday, *Life of Christ*, p. 123...

(10) Sanday, rapprochant *Ps.*, 8, que s'appliquait Jésus (*Mt.*, 21, 16; 25, 31-46): *Life of Christ*, p. 95 sqq.; *Christologies...*, p. 123, sqq.; Schlatter, *N. T.*

Theologie, I, p. 464; cf. conception assez apparentée de MANSON, *Teaching of J.* et *Jesus the Messiah*, p. 118.

(11) Arn. MEYER, *Jesu Muttersprache* p. 93 101; DUPONT *op. cit.*; Nat. SCHMIDT *The prophet of Nazareth* London 1905: jugements de DALMAN, *Die Worte J.* p. 204 sq. et BALDENSPERGER RHPR, 1925 p. 271 sqq.

(12) LIETZMANN, *Der Menschensohn*; FIEBIG, *der Menschensohn*; GUIGNEBERT, *Vie de Jésus*, p. 350 sqq., réfuté par GOGUEL, RHPR, 1933, p. 436; voir du même, *Vie de Jésus*, p. 558, sq.; SANDAY, *Life of Christ*, p. 123; DALMAN, *die Worte J.*, p. 197, 203, sqq.

(13) *Mc.*, 6, 15; 8, 28; *Mt.*, 21, 11; *Lc.*, 7, 16, 39; 9, 8, 19; 24, 19; *Jn.*, 4, 19; 6, 14; 7, 40, 52; 9, 17. Aujourd'hui encore nombre de Juifs accordent à Jésus cette qualité, mais pour lui refuser une dignité plus haute: voir notre ouvrage: *Les Juifs et Jésus*, attitudes nouvelles, Paris, 1937, p. 129-138, 145, 212.

(14) *Lc.*, 13, 33; 4, 24.

(15) *Mc.*, 1, 17; 8, 34, 38; 2, 14; 13, 13; *Lc.*, 9, 57-62; 6, 22, 23; 12, 51, sqq.; 14, 26-33; 17, 33; 21, 12, 17; *Mt.*, 8, 19-22, 34, 38; 10, 34-39; *Jn.*, 15, 20.

(16) *Christus*, p. 1019.

(17) *Mc.*, 4, 40; 13, 31; *Mt.*, 7, 24-27; 11, 28, 29; 14, 29, sqq.; 23, 8, 10; 24, 35; *Jn.*, 14, 1.

(18) *Mt.*, 10, 14, 15; 11, 10-24; 10, 40-42; *Lc.*, 10-15; 19, 42-44; 9, 48; *Mc.*, 9, 37, 41.

(19) *Mt.*, 13, 16, 17; *Lc.*, 10, 23, 24: ce que rois et prophètes auraient voulu voir et entendre.

(20) *Jn.*, 5, 31, 32, 34, 36.

(21) *Lc.*, 12, 10; nuances subtiles dans *Mt.*, 12, 31, 32 et *Mc.*, 3, 28-30.

(22) *Mc.*, 2, 28 (paral.) et *Jn.*, 5, 17; HOSKYNS, *Jesus der Messias* (*Mysterium Christi*, p. 96-101) relève l'importance de ces discussions sur le sabbat, Jésus revendiquant là la puissance créatrice.

(23) *Mc.*, 2, 10 (paral.); *Lc.*, 7, 48, 49; 19, 9, 10; *Jn.*, 8, 36.

(24) *Mt.*, 16, 19, 28; 13, 41; *Lc.*, 17, 20, 24-27; 22, 29, 30; 23, 43.

(25) Il fait du précurseur de Dieu (*Mal.*, 3, 1) son propre précurseur (*Mt.*, 11, 10; *Lc.*, 7, 27; il s'applique le *Ps.* 8 (*Mt.*, 21, 16); il s'identifie avec le S. Esprit et avec la Sagesse de Dieu (*Lc.*, 21, 15 = *Mc.*, 13, 11 = *Mt.*, 10, 20; 23, 34 = *Lc.*, 11, 49); voir aussi *Mt.*, 9, 37, 38 (maître de la moisson, comme le Père).

(26) *Mt.*, 18, 20 (omniprésence divine); 11, 27 et 20, 20.

(27) Nous verrons tout cela dans le chapitre sur l'Église.

(28) *Jn.*, 5, 21-28; 6, 39, 40, 44, 47; LEBRETON, *Jésus*, DTC., VIII, c. 1213, 1219, 1224, remarque que cette activité le fait apparaître Fils de Dieu.

(29) Nous comptons 130 «ego» dans S. Jean; noter surtout *Mc.*, 13, 6; *Jn.*, 4, 26; 8, 23, 24, 28, 58; 13, 19; 18, 5. Ed. SCHWEIZER, étudie ces propositions: *Ego eimi... Die religionsgeschichtliche Herkunft und theologische Bedeutung der iohanneischen Bildreden...*, Göttingen, 1939; MANSON, *Ego eimi*... JTS, 1947, p. 137-145; WIKENHAUSER, *Das Evangelium des Johannes*, Regensburg, 1948, p. 112: par ces formules «Jésus déclare à l'humanité: ces divinités (qui représentent vos besoins

vitaux) après lesquelles vous avez couru jusqu'à maintenant, ne sont que des faux-dieux: moi seul puis satisfaire vos aspirations les plus profondes, parce que moi, seul, puis procurer la vie éternelle, véritable».

(30) Lagrange, *La Paternité de Dieu dans l'A.T.RB.*, 1908, p. 481-499; A. L. Williams, *My Father in jewish thought*, JTS., 1929, p. 42-47.

(31) *Abba*, en araméen, signifie à la fois: le Père, mon Père (papa): Dalman, *die Worte Jesu*, p. 157.

(32) *Tract. in Joh.*, 21, 3, PL., 35, c. 1565. *Mt.*, 26, 29, 53; 20, 23; 12, 50; 10, 32, 33; 15, 13; 16, 17; 18, 10, 14, 19, 35... plus fréquent en *Jn.*

(33) *Mc.*, 13, 32; *Mt.*, 24, 36; 28, 19; 16, 27; *Lc.*, 9, 26; *Mt.*, 11, 27; évidemment l'expression «le Fils» est incomparablement plus fréquente en *Jn.* (18 fois).

(34) Les Juifs appelaient Dieu: le Saint, béni soit-il! Les démons disent Jésus, tantôt le saint de Dieu, tantôt le Fils de Dieu: *Mc.*, 1, 24; 2, 11.

(35) «Bien-aimé» signifie: fils unique: Turner, JTS, XXVII, p. 113-129; Lebreton, *Origines du dogme de la Trinité*, I, p. 170 (note). Sur la Transfiguration voir *ibid.*, p. 318, 320; Riesenfeld, *Jésus transfiguré*, Upsal, 1947 (intronisation messianique); Dambrowski, *La transfiguration de Jésus*, Rome, 1939; Blinzler, *Berichte über die Verklärung Jesu*, Münster, 1937; G. H. Boobyer, *St Mark and the Transfiguration Story*, 1942.

(36) Voir notre *Judaïsme palestinien*, I, p. 360, sqq.

(37) *Ibid.*, p. 365-368.

(38) Sur les lèvres des démons: *Mt.*, 4, 3, 6; 8, 29,; *Mc.*, 3, 11; *Lc.*, 4, 3, 9; des disciples: *Mt.*, 14, 33; *Jn.*, 1, 50 (pour 34 pas d'hésitation possible); du centurion: *Mt.*, 27, 54 = *Mc.*, 15, 39.

(39) *N. T. Theologie*, I, p. 121, 341, sq.; Swete, *The teaching of Jesus*; ce n'est pas la conscience filiale qui est engendrée par la conscience messianique; c'est le contraire qui est vrai; Wikenhauser, *Johannes*, p. 92, sq.: la mission messianique a pour support la filiation divine.

(40) Wendt, *Die Lehre Jesu*, p. 94 (sur Lc., 2, 49).

(41) Nous adoptons la leçon la plus probable ὁ γεννηθεὶς ἐκ τοῦ θεοῦ τηρεῖ αὐτόν et nous entendons ce participe aoriste de Jésus; En lui surtout la génération divine ne cesse de se réaliser, mais le temps historique a pour raison d'être probable: l'allusion à la génération éternelle du Fils de Dieu, qui, d'une part, lui est unique, et qui, d'autre part, est le principe de notre filiation divine. Voir notre *commentaire* de l'épitre, p. 273.

(42) Les deux idées: *Jn.*, 8, 42; 17, 8; venir d'auprès de Dieu: *Jn.*, 16, 27, 28; venir simplement: *Jn.*, 10, 10; 12, 46, 47; *Lc.*, 5, 32; 19, 10,; 9, 56; 12, 49-51; *Mc.*, L, 38; *Jn.*, 5, 43; 8, 14; 9, 39; être envoyé: *Jn.*, 7, 33; 10, 36; 16, 5; 8, 16, 29; *Lc.*, 4, 43, 17-21 (le vocabulaire des Synoptiques s'éclaire par celui de S. Jean).

(43) Durand, *Evg. selon S. Jean*, p. 263, citant S. Augustin, *Tract. in Joh.* 22, 17, PL., 35, c. 1573; S. Cyrille d'Alexandrie, *in Joh.*, PG., 74, c. 465; Lebreton, *Trinité*, I, p. 521.

(44) Mandant et mandataire inséparables: *Jn.*, 8, 16, 29; 16, 32; «Il vient avec celui de qui il vient» écrit S. Augustin, *In. Joh.*, 42, 8, PL., 35, c. 1702. Cette

mission manifeste qu'il est sorti du Père et atteste leur consubstantialité: Cyril. Alex., *in Joh.*, PG., 74, c. 29, 277, 324; Augustin: *in Joh.*, 31, 4, PL., 35, c. 1638.

(45) *Jn.*, 5, 36, 24; 6, 29; 11, 42; 12, 44; 17, 8, 21, 25.

(46) Kittel (KW, IV, p. 123, sq.): Jésus, conscient de sa filiation divine a également conscience de sa préexistence auprès de Dieu: affirmé nettement en S. Jean, supposé dans les Synoptiques, professé dans tout le N.T.

(47) Cavallera, *Thesaurus*, § 690; Denzinger, *Enchiridion*, § 148.

(48) *Jn.*, 6, 46 et 3, 13, si l'on admet (admet avec Hoskyns, Lagrange, Loisy, suivant quelques témoins excellents) la leçon longue: «qui est au ciel» (qui manque en B et S, l'omettant peut-être parce que se trouvant ds 1, 18).

(49) Durand, *Evg. S. Jean*, p. 301: texte célèbre dans la controverse arienne.

(50) *Jn.*, 10, 30, 38; 14, 10, 20; 17, 21, 22, 23; cf. 9, 16, 29; 16, 32.

(51) *Jn.*, 16, 14; 17, 10. Cyrille Alex., PG., 74, c. 452, souligne qu'il dit «être» et non «avoir», ce qui marque mieux la consubstantialisé. A rapprocher *Mt.*, 11, 27, que nous commenterons à l'instant.

(52) *Jn.*, 17, 11, 12, 22, 23, 24, 26: rappelons que Cyril. Alex., PG., 74, c. 516, 525, 536, entend «amour, nom et gloire» de la nature divine, communiquée au Fils par son Père.

(53) Nous avons deux leçons: la mieux attestée, peut-être aussi la plus difficile: αὐτοῦ, qu'adoptent Nestlé, von Soden, Tischendorf, Tregelles, Westcott-Hort; la moins attestée: αὐτός, que donne Merk. Cette dernière leçon affirme que le Père agit, lui-même, dans son Fils; la première indique, en outre, que les opérations du Fils sont celles du Père: c'est l'idée plus profonde de l'*instrumentum coniunctum*.

(54) *Somme théol.*, III, q. 2, a. 6; q. 13; a. 2, 3; q. 19; a. 1; q. 43; a. 2...

(55) Augustin, *in Joh.*, PL., 35, c. 1542, 1560, 1566, 1744. Cyrille Alex., *Joh.*, PG., 73, c. 361; 74, c. 337, 22, 216, 336, 340.

(56) *Jn.*, 5, 23; 15, 23; ici encore l'égalité suppose la consubstantialité.

(57) Nous traduisons *Lc.*, 10, 22, peu différent de *Mt.*, 11, 27. On voit toute l'importance de ce texte. On comprend aussi qu'on se soit acharné, soit à en contester l'authenticité, soit à en diminuer la portée. Contre: D. Voelter, *Eine vorkanonische Conjectur im N.T.* (Niew theologisch Tidschrift, 1919, p. 35, sqq. et critique de Goguel, RHPR, 1926, p. 136; Arvedson, *Das Mysterium Christi, eine Studie zu Mt.*, 11, 25-30, Uppsala, 1937; Harnack, réfuté par Chapman, JTS, 1909, p. 552-566; pour l'authenticité: Lebreton, *Origines de la Trinité*, I, p. 591-602; Feine, *N.T. Theologie*, p. 51, sqq.; Schumacher, *Die Selbstoffenbarung Jesu bei Mt.*, 11, 27 (*Lc.*, 10, 22), Freiburg i.B., 1912. Dans son *Evangile suivant Luc*, Paris, 1924, p. 300, sq., Loisy fait valoir le sens profond du texte «que Wellhausen, Harnack, Bultmann ont essayé vainement de ramener aux proportions d'une sentence morale, en éliminant ce qui regarde la connaissance du Fils par le Père». Commentaires: Grandmaison, *J.C.*, II, p. 29, sq.; Lebreton, *Trinité*, I, p. 307, sq.; Valensin-Huby, *Evg. selon S. Luc*, p. 198, sq.; les commentaires des Pères, en particulier S. J. Chrysostome, PG., 57, c. 430 et 58, c. 534: il montre combien ces propositions font ressortir la consubstantialité du

Père et du Fils, «l'égalité dans la dignité et dans la nature» ainsi que la souveraineté du Fils, mais reconnaissant là un autre plus grand que lui (au sens de *Jn.*, 14, 28).

(58) Sanday déclare cela inintelligible (RSR, 1911, p. 195); voir aussi Du Bose, *The Gospel according to St Paul*, p. 37; Galtier, *L'unité du Christ*, Paris, 1938, p. 63.

(59) P. Galtier, *De Incarnatione*, Paris, 1926, p. 123-127; A. d'Alès, *de Verbo incarnato*, Paris, 1930, p. 174, 182. Cf. Bossuet (lettre 98 à sœur Cornuau): Jésus-Christ, en tant qu'homme, a été en tout et partout guidé par le Verbe, animé par le Verbe... ».

(60) Lebreton, *Trinité*, I, p. 312, sq., 527, sq.: page profonde sur cette humilité «dépendance naturelle, accompagnée d'une infinie complaisance... Le Fils prenant son bonheur à recevoir et dépendre... ».

(61) *Evangile selon S. Jean*, p. 406, sq.

(62) Nous suivons et reproduisons: Lebreton, *Trinité*, I, p. 309-313, 559-590; Huby, *Evg. selon S. Marc*, p. 349. Voir aussi Bossuet, (*Méditations sur l'évangile*, dernière semaine, 76ème jour: le Fils de Dieu prend sur lui le mystère de notre ignorance.

(63) *In Joh.*, PG., 74, c. 493, 12.

(64) On connaît les déclarations de S. Grégoire de Nazianze: si le Nouveau Testament a révélé le Fils, il a seulement fait entendre la divinité de l'Esprit (*Oratio theologica*, V, 26, PG., 36, c. 161, cité et commenté par Lebreton, *Trinité*, I, p. 100, sq.); B. Swete, *The holy Spirit in the N.T.*, London, 1909, p. 291, 359, note: le N.T. révèle peu le Saint Esprit, «comme une personne au sein d'une essence tri-personnelle, bien qu'il y conduise»; on le montre surtout à l'œuvre.

(65) Lebreton, *ibid.*, p. 534, sqq., utilise surtout le discours après la Cène et il montre qu'il présente autre chose qu'une «personnification métaphorique» (contre Beyschlag, J. Réville, Goguel, Loisy et, en une certaine mesure, Holtzmann).

(66) Lebreton, *Trinité*, I, p. 599-610, établit, contre Conybeare et autres cette authenticité. Nous ne pensons pas, et le montrerons plus loin, que le baptême ait jamais été administré au nom de Jésus (ou: du Seigneur); cette dernière expression désigne le baptême chrétien qui unit au Christ (cf. *Didaché*, 7,1 — formule trinitaire; 9,5 — les baptisés au nom du Seigneur).

(67) *Ibid.*, p. 340, sq.

(68) Le Fils sorti du Père, «ex Deo processi et veni» ἐξῆλθον καὶ ἥκω (*Jn.*, 8, 42; 16, 27 — exivi, 31; 17, 8); certainement les derniers mots indiquent seulement la sortie d'auprès du Père, la mission, l'incarnation. Pour le S. Esprit, *qui a Patre procedit*, ἐκπορεύεται (*Jn.*, 15, 26); le verbe signifie seulement «sortir»: faut-il l'entendre aussi de l'origine même, ou déduire l'origine de la mission? La plupart des commentateurs catholiques y voient affirmée directement l'origine, la procession du Fils se faisant par génération, celle de l'Esprit n'ayant pas de désignation propre. On sait que le traité systématique de la Trinité est tout entier déduit de la notion de «procession». Pour l'exégèse voir: Lagran-

ge, *in loco*; KNABENBAUER, *in loco*. Pour la théologie, PETAU, *de Trinitate*, II, 14, 62; de REGNON, *Etudes sur la Trinité*, IV, p. 101-105, respect des Pères pour les termes scripturaires: ἐξέρχεσθαι pour le Fils, ἐκπορεύεσται pour l'Esprit.

(69) *Mc.*, 1, 15; *Mt.*, 3, 2; 4, 17; 10, 7; *Lc.*, 10, 9, 11. Notre «est là» traduit ἤγγικεν que plusieurs entendent également d'une disposition providentielle rendue présente: JOUON, RSR., 1927, p. 238; LAGRANGE, *St Mc.*, p. 16, sq.; PREISKER, KW, II, p. 330.

(70) *Mt.*, 24, 14 (l'évangéliste définit de même la prédication de Jésus: 4, 23; 9, 35).

(71) Bibliographie considérable: Ed. KOENIG, *Geschichte des Reiches Gottes bis auf J.C.*, Leipzig, 1908; J. WEISS, *Die Predigt Jesus vom Reiche Gottes*, Gottingen, 1900; E. DEWICK, *Primitive christian Eschatology*, Cambridge, 1912; F. GLOEGE, *Reich, Gottes und Kirche im. N.T.*, Gutersloh, 1929; von RAD, KW, I, p. 566-570; J. BOEHMER, *Der religionsgeschichtliche Rahmen des Reiches Gottes*, Leipzig, 1909; Folke HOLMSTROEM, *Das eschatologische Denken der Gegenwart*, Gutersloh, 1836; CERFAUX, *La doctrine du Royaume de Dieu*, Collationes Tornacenses, 1934, p. 321-329.

(72) Dans *Sag.*, 10, 10, au sens de Providence: L. de GRANDMAISON, *J.C.*, I, p. 269, sq., *Tobie*, 13, 1; *Ps.*, 145, 11, 12; *Dan.*, (grec), 3, 100.

(73) *2 Chron.*, 13, 8; *Néh.*, 9, 35; *Sag.*, 6, 4; *2 Chron.*, 20 6; *Ps.*, 47, 3, 7, 8.

(74) *Ps.*, 47, 9; 93, 1; 96.10; 99.1. Nous trouvons une certaine acceptation de ce règne: *Ps.*, 44, 5; 6, 8, 25; 74, 12; 84, 4; 149, 2... Peu nettement est affirmée l'idée que Dieu est roi dans la mesure où l'on se soumet à sa volonté.

(75) *Ps.*, 145, 13; 29, 10; *Dan.*, 3, 100; 2, 44; 7, 14, 18, 27; *Tob.*, 13, 1; *Sag.*, 3, 8.

(76) *Is.*, 24, 23; 12, 7; *Mic.*, 4, 7; *Ez.*, 20. 33 (je règnerai par force sur vous); *Zac.*, 14, 9; *Dan.*, 2, 44. 47; 7. 14 18, 27. Voir LAGRANGE, *Le Règne de Dieu dans l'A.T.*, RB., 1908, p. 36-61.

(77) Règne par le Messie: *Ps. Salom.*, 17, 1, 46; *Sibyl.*, (hellénistique) III, 48, sqq., 55, sq., 767, sqq. (interpolation chrétienne), 808; V, 346-352, 414, sq., 426, sq.. Règne en Messianisme sans Messie: *Testament de Dan*, 5, 13; *Benj.*, 10, 7; *Jubil.*, 1, 28; 23, 31; *Assomp. Mos.*, 10, 1. Voir: LAGRANGE, *Le Messianisme chez les Juifs*, Paris, 1909, p. 81; notre *Judaïsme palestinien*, I, p. 444, sqq.

(78) Voir: *ibid.*, II, p. 33, sqq.; LAGRANGE, *ibid.*, p. 116-121; DALMAN, *Die Worte Jesu*, p. 76, sq.; SCHECHTER, *Some aspects of rabbinical theology*, London, 1909, p. 65-79; STRACK-BILLERBERCK, *Kommentar...*, I, p. 172, sq. *Berakot*, *Michna*, 2, 5, *Tal. Babli*, 16 *a*, 61 *b*, 14 *b*; *Talm. palest.*, 4 *b*; *Sifré* sur *Nom.*, 10, 10.

(79) Rabbins du premier siècle: *Tosephta Baba qamma*, 7, 5 et *Sota*, 14, 4; *Abot de R. Nathan*, 20, 2; *Sifra Lév.*, 25, 37; 20, 26... *Talm. pal. Qiddušim*, I, 2, 59df.

(80) *Siphré* sur *Deut.*, 32; 10; *Jubilés*, 12, 19.

(81) *Eccli.*, 50, 15; *Eccli. rabba*, sur 3, 11; Yoma mišna, 3, 8; 4, 1; 6, 2; Ros ha-šana, tosephta, 1, 12; *Talm. babli*, 32 *ab*. *Siphré Nom.* 10, 10. *Berakot T. babli*, 12 *a*; *pal.* IX, 1, 12 d.

(82) *Demandes 11 et 18* des *Semoné esré*; *Qaddiš du culte*; *Mekhilta* sur Ex. 17, 14 et 15, 17: notre *Judaïsme palestinien*, II, p. 147.

(83) L. de GRANDMAISON, *J.C.*, I, p. 269, 377, sq.; Balmain BRUCE, *The Kingdom of God of Christ's teaching according to the synoptical Gospels*, Edinburgh, 1897, p. 41; GARVIE, Exp. T., XLII, p. 194; *Beginnings of Christianity*, London, 1920, p. 270-278; KUHN et KL. SCHMIDT, KW., I, p. 570-573; J. BOEHMER, *Der Religionsgeschtliche Rahmen des Reiches Gottes...*

(84) KW., I, p. 593; Ed. KOENIG, *op. cit.*, p. 317, sq.; DEWICK, *Christian Eschatology*, p. 226 (différent des apocalypses juives): BRUCE, *The Kingdom of God.* chap. I.

(85) Règne du ciel uniquement en Mt.; on emploie souvent le pluriel (coelorum, des cieux) à cause de la forme plurielle du terme hébreu. Peut-être, référence aux cieux dans *Mt.*, 5, 12; 7, 21; 16, 19; 18, 18. — L'expression (sous l'une ou l'autre forme) se trouve en *Mt.*, 51 fois, en *Lc.*, 39; en *Mc.*, 14, en *Jn.*, 2. Elle devient parfois «le Règne»: *Mt.*, 4, 23; 9, 35; 24, 14; 6, 33; 8, 12; 13, 38, 19; 25, 34; *Lc.*, 12, 32; 22, 29, ou bien «le Règne du Fils de l'homme»: *Mt.*, 13, 41; 16, 28; 20, 21; *Lc.*, 22, 30; (*Jn.*, 18, 36).

(86) *Mt.*, 11, 12, 13, interprété en *Lc.*, 16, 16.

(87) Nous avons traduit ainsi le parfait ἤγγικεν: *Mc.*, 1, 15; *Mt.*, 3, 2, 4, 17; 10, 7; *Lc.*, 10, 9, 11; nous entendons pareillement le ἐγγύς de *Lc.*, 21, 31.

(88) On peut l'entendre aussi au sens de récompense future, mais possédée en droit dès maintenant: *Mt.*, 5, 3; 19, 14; *Mc.*, 10, 14; *Lc.*, 6, 20; 18, 16; *Jn.*, 3, 3, 5. désigne l'Église, dont on jouit (voir).

(89) *Mt.*, 11, 11 (actuellement); 5, 19; 18, 1, 3; *Lc.*, 7, 28.

(90) *Lc.*, 17, 21; on sait comment le protestantisme libéral fonde sur ce texte sa conception d'un Royaume intérieur; on peut l'entendre aussi du Règne de Dieu arrivant subitement sans qu'on puisse percevoir des signes de son apparition; la phrase au présent et le sens habituel de ἐντός orientent plutôt vers le sens que nous proposons: KW, *in verbo*; GLOEGE, *op. cit.*, p. 130, sqq.; STAUFFER, *Theol. N.T.*, p. 103; BUECHSEL, *N.T. Theol.*, p. 41.

(91) Opposé à la géhenne: *Mc.*, 9, 47; Royaume eschatologique du Père: *Mt.*, 13, 43; 26, 29; *Mc.*, 14, 25; *Lc.*, 22, 16; Récompense définitive: *Mt.*, 25, 34. Règne messianique: *Mt.*, 8, 11; *Lc.*, 13, 28, 29; 14, 15; 22, 29, 30. Nous n'utilisons pas ici les phrases sur l'entrée au Royaume, qu'on peut entendre au futur (récompense eschatologique) et au présent: *Mt.*, 5, 20; 7, 21; 18, 3; 19, 23, 24; *Mc.*, 10, 23, 24, 25; *Lc.*, 18, 24, 25; *Jn.*, 3, 5, 3 indique qu'on entre dès maintenant dans le Royaume de l'Église, par le baptême.

(92) *Tom.*, 14,7 *sur Mt.*, 18,23, PG., 13, c. 1197.

(93) *The Parables of the Kingdom*, London, 1929, p. 187.

(94) Sur les possédés: G. J. WAFFELAERT, *Possession*, DAA, IV, c. 53-81; L. ROURE, *Possession*, DTC., XII, c. 2635-2647; J. de TONQUEDEC, *Les maladies nerveuses ou mentales et les manifestations diaboliques*, Paris, 1938. *Mc.*, 1, 24...

(95) *Mc.*, 4, 15; *Lc.*, 8, 12; *Mt.*, 13, 39. Avons-nous affaire là à des allégories, qui ne rentreraient pas dans le genre parabolique, suivant la thèse de Jülicher, Loisy, partagée par J. JEREMIAS, *Die Gleichisse Jesu*, p. 10, sqq. mais avec quelques réserves sur cette position unilatérale, -*einseitig*? Ces auteurs auraient

dû se rendre compte que ces prétendues explications allégoriques sont faites dans la forme des exégèses distributives, si caractéristiques du rabbinisme, et que là aussi abondent les équivalences symboliques, pas toujours fondées sur l'affinité des objets à comparer: notre *Exégèse rabbinique*, Paris, 1938, p. 43, 60, 72, 176... 215-251. Nous n'hésitons pas à nous servir des paraboles sur le Règne de Dieu.

(96) *Lc.*, 22, 53; *Jn.*, 13, 2, 27; 14, 30; cf. *1 Cor.*, 2, 8.

(97) La notion du monde, mauvais, est fréquente en *Jn.*, elle se trouve aussi en *Mt.*, 18, 7; *Lc.*, 12, 30. Dieu veut sauver le monde: *Jn.*, 3, 16, 17, 19; 6, 33, 51; 8, 12, 26; 12, 47... Les Synoptiques disent équivalemment que Jésus est venu sauver les pécheurs: *Mc.*, 2, 17 ; *Mt.*, 9, 13; *Lc.*, 7, 34; 15, 1, 2, 7.

(98) *Jésus Christ*, II, p. 366.

(99) *Mt.*, 13, 11 = *Lc.*, 8, 10; en *Mc.*, 4, 11, nous lisons le singulier qui prend une signification plus profonde et compréhensive.

(100) L'Évangile du Règne; ici aussi génitif epéxégétique: *Mt.*, 4, 23; 9, 35; 24, 14; *Mc.*, 1, 14 (15 il faut y croire). Le verbe évangéliser fait partie du vocabulaire de Luc, disciple de Paul: 16, 16; 4, 43; 8, 1; 9, 2, 11, 60 (9, 62).

(101) *Mt.*, 19, 11. Ce verbe «donner», caractéristique du vocabulaire de Jésus, indique par sa fréquence la place que tiennent les bienfaits divins dans la vie du chrétien, dans le développement du Règne: *Mt.* 6, 11; 7, 7, 11; 10, 19; 13, 11, 12; 16, 4; 19, 11; 20, 14, 23; 21, 43; 25, 29; 28, 18; *Mc.*, 4, 11, 25; 8, 12 10, 40; 13, 11; *Lc.*, 6, 38; 8, 10, 18; 10, 19; 11, 3, 9, 13, 29; 12, 32, 48; 19, 16; 21, 15; *Jn.*, 3, 16, 27, 34, 35; 4, 10, 14; 5, 22, 26, 27, 36; 6, 27, 31, 32, 33, 37, 39, 51, 65; 10, 28, 29; 12, 49; 14, 16, 27; 15, 16; 16, 23; 17, 2, 4, 6, 7, 8, 9, 11, 12, 14, 22, 24; 19, 11. – Noter l'accord entre le vocabulaire de *Jn.* et celui des Synoptiques.

(102) *Mc.*, 4, 24, 25; *Mt.*, 13, 12; *Lc.*, 8, 18. Dictons semblables: *Mt.*, 25, 29; *Lc.*, 19, 26. Le passif indique une action divine.

(103) Bonnetain, *Grâce*, DBS, III, c. 951, 959, sqq.

(104) Y. de la Brière, D.A.A., I, c. 1243.

(105) L. de Grandmaison, *Jésus Christ*, I, p. 380.

(106) Nous proposons cette définition, trop scolaire, dans nos *Enseignements de J. C.*, p. 359.

(107) Thèse du secret messianique, soutenue par Wrede dans *Das Messiasgeheimnis in den Evangelien*, Göttingen, 1901; il fut suivi en partie par Bultmann (cf. Grandmaison, *Jésus Christ*, I, p. 311, sq. et *Théologie du N.T.*, p. 26-33 (la vie de Jésus n'eut rien de messianique), J. Hering, *Le Royaume de Dieu*, p. 142, les éditeurs de *Beginnings of Christianity*, I, p. 285. De bonne heure on a parlé de la faillite du système de Wrede: Sanday, Exp. T., XV, p. 389, JTS, 1904, p. 321-329 et *Life of J.*, p. 78; J. H. Holtzmann, *N.T. Theologie*, I, p. 280; et *Das messianische Bewusstsein* J., Tübingen, 1907; Bousset, *Jesus*, p. 82; Goguel, *Vie de Jésus*, p. 349.

(108) Protestants libéraux: Loisy écrivait dans *l'Evangile et l'Eglise*, p. 148, sq.: «Le Christ de M. Harnack, le fils révélateur de la bonté divine, a l'air de prendre la qualité de Messie comme une sorte de costume ou de déguisement dont

il a besoin pour traiter avec les Juifs». Cf. Braun, *Où en est le problème de Jésus*, p. 48; sq.

(109) Monnier, *La mission historique de Jésus*, p. 34, sq.

(110) C'est une partie des thèses de l'eschatologisme conséquent (J. Weiss, A. Schweitzer, Loisy, Guignebert, en partie Goguel, Wernle (Jesus) ...) qui fait de Jésus un illuminé, s'illusionnant sur le prochain avènement du Royaume et sur la proximité de sa parousie. Cf. F. M. Braun, *Aspects nouveaux du problème de l'Eglise*, p. 113-142; Grandmaison, *J.C.*, II, p. 292-312, 454, sqq. Nous reviendrons sur cette question de l'eschatologie.

(111) Jésus professe un messianisme tout biblique, mais dans une synthèse personnelle: J. B. Frey, *Le conflit entre le Messianisme de Jésus et le Messianisme des Juifs de son temps*, Biblica, 1933, p. 133-149, 269-293; H. J. Allen, *Our Lord's conception of his Messiahship in relation to O.T. Prophecy*, Exp. T. XL, p. 562, sq.; Dalman, *Die Worte Jesu*, p. 250-259; Lietzmann, *Geschichte der alten Kirche*, I, p.42.

(112) J. H. Holtzmann, *Das messianische Bewusstsein Jesu*, Tübingen, 1907, Harnack, *Sprüche und Reden J.*, Leipzig, 1907; vues justes (cette conscience s'explique par un influx divin, elle dérive de la conscience filiale): Bousset, *Jesus*, p. 85, sq., Wendt, *Die Lehre J.*, p. 415. Cf. Lagrange, *Evg. Mc.*, p. 11; Stevens, *N.T. Theology*, p. 205; Manson, *Jesus Messiah*, p. 109.

(113) *Jn.*, 7, 26, 27, 31, 41, 42; 10, 24; 12, 24; 9, 22.

(114) In *Mt.*, PG., 13, c. 1646, sq.; pourtant exception en faveur de la Samaritaine; *Jn.*, 4, 25, 26.

(115) *Mc.*, 9, 13; *Mt.*, 1, 12, 13; 11, 14, 10; *Lc.* 7, 27. Cf. A. de Guglielmo, *Dissertatio exegetica de reditu Eliae*, Jérusalem, 1938.

(116) Tous les récits, particulièrement celui de *Mt.*, 21, 1-9, 14-16 montrent que Jésus a voulu ce triomphe. On sait que les Juifs voyaient dans l'accomplissement de *Zach.*, 9,9 le signe d'un avènement messianique d'un degré inférieur: notre *Judaïsme palestinien*, I, p. 406.

(117) Inutile de nommer ces négateurs: rappelons les noms des plus récents: Guignebert, *Jésus*, p. 236, 342, sqq.; Bultmann, ZNTW, 1930, p. 165-174; Streeter, *the four Gospels*, p. 58, 258, 303, dénonce des altérations d'un document, peut-être original; Kilkpatrick, *The origin of the Gospel according to St Mt.*, Oxford, 1946, voit là la modification de propos tenus après la Résurrection, provenant d'une tradition, p. 39, 40, 83.

(118) Braun, *Aspects nouveaux du problème de l'Eglise*, p. 81-98, citant critiques récents; L. de Grandmaison, *J.C.*, II, p. 63, sqq.; Lebreton, *Trinité*, p. 216 et *Vie de Jésus*, I, p. 428, sq.; Pieper, *Jésus und die Kirche*, Paderborn, 1932 (bibliographie); encyclopédie *Tu es Petrus*, Paris, 1934, p. 4-14 (Vaganay). Parmi les non-catholiques, Sanday estime que *Mt.* avait devant lui une tradition plus explicite que celle de Mc., art. *Son of God*, Dict. Hastings, cité par Lebreton, *J.C.*, I, p. 427; Goguel, *Vie de Jésus*, p. 361-368 admet quelque historicité; J. Jeremias, *Golgotha*, Leipzig, 1926, p. 68-77; K. L. Schmidt, Ekklésia, KW, III, p.522, sq.; Mac Allen, *St Matthew* (Intern. crit. commt.) 1912, p. 180 admet que l'évangile rapporte là une tradition.

تعريف عن الكتب

« رعاية الأولياء في الاسلام بالمغرب »

بقلم اميل دِرمَنجيم

٣٥١ ص – ١٦ لوحاً – القياس ٢٣ × ١٥

ÉMILE DERMENGHEM. — *Le Culte des Saints dans l'Islam Maghrébin.* GALLIMARD, Paris. 1954.

مؤلف هذا الكتاب من أدق المستشرقين حسًّا وأوغلهم في التعرف الى التصوف يجنب كلفه بعيون الأدب العربي ، فله في هذين المطلبين رسائل وكتب نفسية قد نوهنا بها في مبحث سابق بالفرنسية (انظر B. F. *A propos du livre de Dermenghem : les plus beaux textes arabes*, in *le monde de l'Islam*, N. S. III, 3-4, 1954, p. 219-224 .

وكتاب اليوم مادّته موضوع يتجاذبه هفَات الروح وخفقات الحس ، وما هو مكتوب على أسلوب هين كما يكتب أرباب الصحافة وأهل الوصلات . التدبر فيه بعيد والتقصي مستوفى ، ومن وراء هذا وذاك فحص قام به المؤلف نفسه أو تراه يرجع الى مصادر قوية مما يجعل الكتاب عمدة في قصته « العارفين بالله » و « الصدّيقين » مع اقبال المؤمنين عليهم ورعايتهم لذكراهم العالية الساطعة . وليس الكتاب محصورًا في ميدان التاريخ والسير ، بل هو وصف لعادات وأخلاق وعرضٌ لعقائد وعبادات لا تزال قائمة في العهد الذي نحن فيه. ومن هنا خلابة الكتاب ومثار النشاط في صدر القارىء . وقَصَر المؤلف حديثه على الغرب لأنه أدرى به من غيره ، يقيم به من زمنٍ متعرفاً له متنسأ ريحه منتبأ عن جوفه . غير أن الحديث ربّما امتد الى أقطار اسلامية أخرى على جهة الفحص عن أصول المظاهر أو على جهة التمثيل والتقريب .

في القسم الأول من الكتاب : تميز وليّ العامّة من وليّ الخاصّة ، مع ترتيب الأولياء بالاضافة الى الطاقة الروحانية أو القدرة العرفانية . ثم كيف يبلغ « الصالح » مقام الولاية من طريق الزهد وبفضل الفيض الرباني بحيث يصبح الى الله « مجذوباً » . ثم صلاح الولي وموضع خاوته المباركة . وهنا سرد لأماكن غلبت عليها صفة القدسية . — وفي القسم الثاني : ذكر الأولياء

التابعين بحسب المصادر العلمية والأدبية والشعبية من مسطّرة ومرويّة ، ومن هؤلاء الأولياء : سيدي أبو مدين شيخ تلمسان المولود في اشبيلية سنة ٥٢٠ هـ . ثم ذكر أولياء من الطبقة الثانية . — والقسم الثالث : مزارات الأولياء . ومقدار شأنها الاجتماعي ، ثم مواقعها وجهاتها وخصائصها العمرانية . وفي هذا الباب خرج الآن كتاب جليل هو : « كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات » للهروي (من منشورات المعهد الفرنسي بدمشق ، سنة ١٩٥٣) . ويختم هذا القسم مذاهبُ الزيارة وأفعال الزائرين ، منها نحر البقر والأخرفة والجمال والديكة والدجاج . — وفي القسم الرابع : الأعياد والموالد واجتماع الخلق فيها عند ضريح الولي بالمدينة أو بالجبل أو بالسهل . ثم الملاهي من مرح وغناء ورقص في المواسم . — وفي القسم الخامس : الطرق الصوفية ومناحيها في الوجد والتواجد ، ولا سيما طرق السودان من أتباع سيدي بلال .

وهكذا يدخلك هذا الكتاب في عالم علوي تلمع فيه آيات الايمان الولهان ، وقد علقت بها ظلمات أتتها من جانب « الشطح » أو من جانب الجهل الذي أصاب أهل هذا الشرق منذ القرن الرابع عشر . على أن في رعاية الأولياء مَعْبَرًا لما يلي المادة المباشرة ومنارًا لأفق ترتع فيه الأرواح اذا هي صفت وصدقت . ومما يورث الاسف ان المؤلف لم يضع سردًا للاسماء والاماكن يهتدى به الباحث المراجع .

بشر فارس

P. ATHANASE HAGE, B B. : *Les empêchements de mariage en droit canonique oriental.* — Étude historico-canonique. — Lettre - Préface de S.E. Mgr I. ZIADÉ, Archevêque maronite de Beyrouth. — Beyrouth 1954. — XXXIX — 332 pp.

نقدم الى قراء المشرق كتاباً جديداً لحضرة العلامة في الشؤون الشرقية الاب اثناسيوس حاج . هو بحث تاريخي قانوني يدور حول موانع الزواج في الحق القانوني الشرقي . انه لكتاب فريد في نوعه عند الشرقيين . بعد ان ظهرت شرعة الزواج في ٢ ايار سنة ١٩٤٩ اصبح من الضروري درس المقدمات التاريخية لهذا القانون الجديد والبحث عن التطورات التي مرت بها انظمة الزواج عند الشرقيين قبل ان تنتهي الى هذه الصورة التي اقرها قداسة الحبر الاعظم في ٢ ايار سنة ١٩٤٩ . ان هذا القانون ليس ارادة اعتباطية لا مسوغ له ولا مبرر لا بل هو محط

رحال تطور رافق حياة الكنيسة الشرقية منذ العصور الاولى الى يومنا هذا . ان الاوضاع القانونية مثل سائر اوضاع المجتمع لها تاريخ. لانها اوضاع حية ولقد كتب التطور الكل حي لا بل اصبح التطور ميزة من ميزات الحياة . قد يخيل لمن ينظر الى القانون المدني او الكنسي من الخارج انه نظام متجمد لا يتغير على كر العصور. انه القاعدة الراسخة للسلوك البشري وهو الدستور الذي يرتكز عليه نظام الدول والجماعات . واول شيء يفترض فيه هو الثبوت وعدم التغير . ان هذه النظرية في القانون هي سطحية ومن ثم مخطئة لان الشريعة ان لم ترافق تطور المجتمع الذي وضعت لاجله تبقى حرفاً ميتاً ويحل محلها انظمة جديدة ترتكز على العادات والتقاليد الاجتماعية . اذا وجب على المشترع الحكيم اذا احب ان تكون شريعته نافذة ومعمولاً بها في الرعية ان يدخل عليها من وقت الى آخر تعديلات تتفق مع تطور الحياة والمجتمع والعصر .

وكان سر الزواج اكثر اوضاع المجتمع اهمية وادقها لانه هو نقطة الارتكاز للعيلة ، الخلية التي يتألف منها المجتمع بأسره . ولذلك منذ العصور الاولى قامت الكنيسة تهتم بهذه الخلية وتوجد لها انظمة تتفق مع تعاليم السيد المسيح ومقتضياتها فرأيناها منذ البدء تمنع الطلاق وتحدد شروط العقد وصورته القانونية .

وموانع الزواج هي الشروط التي تفرضها الشريعة الكنسية او الطبيعية على المتعاقدين ليكون عقد الزواج صحيحاً . وهذه الموانع باكثريتها في الكنيستين الغربية والشرقية مرت بتطورات عديدة .

ولقد حصر مؤلف هذا الكتاب موضوعه في الموانع عند الكنائس الشرقية لكنه في نهاية كل فصل قارن النظام الشرقي بالنظام الغربي مما جعل لهذا الكتاب قيمة فريدة في نظر هواة القانون والقضاة الذين يتوجب عليهم ان يطبقوه يومياً . . .

وذلك لان الطريقة الوحيدة للتعمق في درس الشريعة مدنية كانت ام كنسية هي الرجوع الى اصولها وتتبع التطورات التي مرت بها على مر العصور حسب ظروف المكان والزمان . ولهذا السبب ان مطالعة كتاب موانع الزواج عند الشرقيين هي ضرورية ليس فقط لمن يريد ان يتفهم نظام الزواج السابق لتاريخ شرعة الزواج عند الشرقيين بل لمن يريد ايضاً ان يدرك المفهوم الحقيقي لقوانين شرعة الزواج نفسها . لان هذه الشرعة ليست حدثاً جديداً في نظام الزواج عند

الشرقيين لا علاقة لها مع القانون القديم لا بل هي تكملة له .

ومن الواضح ان هذا الدرس سوف يسهل على المحاكم الكنسية وبالاخص على الدواوين الكنسية الملكية مهمتها في تطبيق القانون لان بعض الموانع عندهم كانت غير مستقرة ومبهمة ، يلزمها درس علمي قانوني ، فاتى هذا الكتاب يوضحها ويشرحها شرحاً علمياً .

لا يمكننا بعد هذا العرض الوجيز لكتاب موانع الزواج عند الشرقيين الا ان نثني على همة المؤلف آملين بانه سوف يتابع ابحاثه القانونية ويتحف الكنيسة الشرقية بدروس اخرى شاملة تكون حجر الاساس في درس القانون الكنسي الشرقي .

الخوري الياس الحائك

H. Gossot : *Éléments d'histoire de la civilisation des techniques et des métiers présentée par les textes.* 208 pp. in-8° carré. Bourges, Éditions Tardy, 1953.

هل قُدّر التوفيق لمئة نص من نصوص الكتّاب ان تجعلنا نشرف من علٍ على ما وضعته نصب العين من رسوم مرئية لحياة العمل عبر عشرات الآلاف من السنين وعلى ما اورثتنا اياه الحضارة من نشب اي على المعلومات والثقافة والفهم والوجدان والعزم والكَدّ ... التي استطاعت ان تكوّنها لنا شيئاً فشيئاً ..؟ فهمُ الصنّاع المصريين والفنانون اليونانيون ...وهو زجاج الاب سان اوبن ... وهي الابرة المغناطيسية والمطبعة وجاك كور وكولبر وكريستوف كولومب او مونتكالم ... وهو اختراع الدراجة الخشبية المنسية وهي جَدّة الدراجة الهوائية التي ندعوها (الملكة الصغيرة) وهم عمال المناجم والمعادن وهو برازا الفارس الاشوس الذي طاف افريقية على جواده ... وقصارى القول تاريخ « دنيز الصغيرة » والانسة رناردو مديرة المدرسة ... فيا له من اتضاع بيّن انها المبادئ الانسانية الحقيقية ويا لها من عظمة مستفزة للنفس .

وانه لكتاب من المحال في الحقيقة تلخيصه وتبثُ مواده ليس بالمقدور ايجازه لكثرة اتساعه ، والخلاصة حسبنا ان نقول فيه انه مؤلف لا يستغني عن مطالعة مختارات نصوصه لا المربّي ولا التلميذ ولا المتدرّب ولا عن التبحر فيها .

ولا يسعنا إلّا ان نشكر السيد كوسو من صميم الفؤاد .

هنري شارل اليسوعي

Pourpre de Martyrs. — par *Rémy*. Librairie Arthème Fayard, Paris, 1953 — 381 pages, 6e édition, 800 francs.

ما برح الكثيرون يجهلون أو لا يعرفون حق المعرفة الاضطهادات الذريعة التي اشتدت منذ خمس سنوات وطأتها في الصين ضد الكنيسة الكاثوليكية المنظمة التي ما فتئت تناهض وحدها الشيوعية ، فهناك عشرات الاساقفة ومئات المرسلين وآلاف الكهنة الصينيين والراهبات الصينيات يكابدون ذلة « المحاكمات الشعبية » المزعومة ويتحملون آلام النفي والسجن والتشريد والتعذيب والموت .

ولقد خطر لبعض المرسلين المنفيين ان يطلبوا الى ريمي (الكاتب المعروف بمؤلفاته بشأن المقاومة الفرنسية (من ١٩٤٠–١٩٤٥) ان يوضح لهم معنى هذه المعركة الجبّارة وكيفية تقلباتها ، انه لكتاب شديد الوقع » ولا سيما هو بلغة بسيطة جد البساطة » يحدر بطالعيه الى التوسل بالصلات الحارة « للكنيسة الصامتة » ويقنع ايا كان ببطولة الكاثوليك الصينيين التي لا تقل عن بطولة القرون الاولى ، اما الكتاب فتزيزه ادلته جد التزارة ودقيقة كل الدقة اذ يعج بالاسماء والارقام ، ففي صفحته ١٠٨–١٠٩ نقع على لائحة باسماء الاساقفة المنفيين من الصين وفي الصفحة ١١٠ على مبلغ قسوة المعاملة التي تعانيها الاديرة الصينية : من قتلى ومسجونين ومعتقلين وممن وضعوهم « تحت المراقبة » ومن مشردين .

والكتاب يطلعنا بخاصة على مبلغ الجهود التي يبذلها الصينيون لانشاء كنيسة منفصلة تحت اسم حركة « الاستقلال الثلاثي » ويبين لنا كيف كان تعذيب الاسقف ريبري « Riberi » وسجنه وطرده ، وكيف وجهت التهم الى راهبات المياتم ونسبوا اليهن تقتيل الاطفال الصينيين .

ونقع في الصفحة ٣٢٦ على سلسلة من الصور نشرتها الحكومة الصينية وجميعها بالعنوان المألوف : الفاتيكان خادم الاستعمار الرأسمالي الاميركي .

اجل « ان دم الشهداء هو بذار المسيحيين » لانه لم تظل هناك قرية واحدة في الصين لم تسمع بالدين الكاثوليكي الذي ثبت وحده في ضد الهجمات الشيوعية مما افضى الى تحقيق امنية احد الكهنة القدامى : « سيجيء يوم يتوق فيه جميع الصينيين الى اقتبال سر العماد » .

اوجين غونتيه اليسوعي

F. KOECHLIN — *Capitalisme et socialisme. Vers un socialisme non collectiviste* - Librairie de Médicis - Paris, 1953, 272 pages.

اليكم مصنفا صغيرًا يتصدى الى بيان افكار شديدة الجرأة ويشتمل على نقد صريح – وفي اعتقادي صحيح – لجميع المذاهب الاقتصادية: من المذهب الاقتصادي الحر الى مذاهب التأميم الى المركسية بحسب الطريقة الروسية ، والى الاقتصاد الموجّه ، ويدور بخلدي اننا نستطيع ان نجاري المؤلف ونسلّم معه بان المذهب الرأسمالي لا ينيل المأجورين النصيب الذي يعود بحق اليهم ، على حين انه من الواجب ان يزداد اشراكهم في ادارة الاعمال ، اما مذاهب التأميم فلن تأتي بالعلاج الناجع ولكنها تجعل الدولة تقوم مقام رب العمل بدون ان يؤدي ذلك الى مصلحة العمال ، اما المركسية الاشتراكية واما مذهب التوجيه الاقتصادي فخطاؤهما الجسيم يقوم في الغاء الحريات الجوهرية .

فما هي اذن العلاجات التي يقترحها ؟ اولاً اصلاح المصنع (الصفحة ١٣٨ وما يليها) : ينبغي للعمال الذين انقضى عليهم اكثر من سنة في مصنع غير صناعي ان يتكتلوا في جمعية اسمها « جمعية المصنع » وان يتناولوا كل سنة نصيبهم من الارباح التي يجتنيها هذا المصنع الذي تسوسه جمعيتهم وتستخدمه كما يعنّ لها ، اما في الشركات المغفلة فيجب ان يتألف مجلس ادارتها من مدراء يمثلون رأس المال يجري انتخابهم على شاكلة الماضي ومن مدراء يمثلون العمل ينتخبهم المجلس العام « لجمعية المصنع » على ان يكون عدد الفريقين متساويا .

واستشهد السيد كوخلين « Koechlin » في الصفحة ١٤٩ وفي التعليق عليها تبديدًا للمخاوف حول هذا الموضوع بتجربة (التعاون معا في الادارة) التي اجريت منذ بعض الوقت في المانية .

ومن ثم اشار الكاتب الى ان التقدم الآلي والتقدم في الانتاج يفضيان دائما الى الاكثار في المصنوعات مع اقلال اليد العاملة لتأخذ ابدا بالتناقص ، وبعبارة اخرى انعدام التناسق انعداما باعثا على القلق بين الخطوط البيانية التي تمثل الانتاج والخطوط البيانية التي تمثل اليد العاملة اللازمة له مما يؤدي الى خطر البطالة المخيف الآخذ بالازدياد على رغم شتى التدابير المتخذة : كاقلال وقت العمل ، وتطويل مدة الدراسة ، ويقول الكاتب في (الصفحة ١٨٣ وما يليها)

ان الحلّ يقوم على توفير الحدّ الادنى الحيوي مجانا واكتساب كل ما تبقى ، واشار في التعليق الى : « انهم في روسية قد بدا لهم ان رأوا هذه المعضلة فشرعوا يتجهون في هذه الطريق لانهم يرتأون امكان توزيع الخبز مجانا » فمن يا ترى يدفع ثمن هذه التوزيعات؟انه الانتاج نفسه وازدياد الانتاج (ص١٨٧) .

والاستشهادات الملمع اليها الماعا على الاقل جزئيا بصدد اقتراحات ايجاد قانون لاصلاح المدانع وذلك في ذيل الكتاب وقد وضعتها مختلف الفئات السياسية قد انتقدها جميعها ما عدا اقتراح السيدة كلاير صونيه « Mme Claire Saunier » عضو مجلس الشيوخ في U· D· S· R الذي تقدمت به في اليوم ١٦ من شهر تشرين الثاني ١٩٤٨ .

فهل بالامكان اجراء هذه الاصلاحات التي ارتآها ؟ الظاهر انها ممكنة لان ذرائع السيد كوخلين ذرائع مقنعة وثمة سوابق في هذا الباب ، ولكن بالطبع ان ذلك لن يتم الآ تدريجيا ، ومع ان الكاتب لم يسترح تماما البراءات البابوية لا في الجزء الانتقادي في كتابه ولا في جزئه الانشائي فليس هناك ما يبدو مناقضا لتعليم الكنيسة الكاثوليكية التي تقترح — كما تعرف — كعلاج للادواء الناتجة ايجاد نظام اقتصادي وسط بين المذهب الاقتصادي الحر والمركسية .

اوجين غوتيه اليسوعي

Catherine II. *Mémoires écrites par elle-même.* Introduction de Pierre Audiat ; texte établi et présenté par Dominique Maroger, 304 pp. - in-8°, Paris, Hachette, 1953.

انصرف بادىء بدء الى ما خطته يراعة كاترين الثانية : الى هذا الاعتراف التي كتبته لابنائها فهو مأساة وقصة اي انه حياة ولون ودراسة نفسية ومهارة فنية في التصوير الوصفي ليقع في النفس موقع الحقيقة الباعث على الدهشة ، فهذا ما اوضحه بحق السيد اوديا اذ قال « ان معنى التورية والترفع عن الكذب » عندما المع الى الفقرة التي حللت فيها صوفيا اوغسطا فريدريك الظروف التي جعلتها تتزلق في غوايات الحب تحليلًا تاماً عن صدق طويّة ودقّة ، والى جانب كل ذلك معنى مرهف وفنّ اخراج واقعي خلاب .

ولقد كتب السيد اوديا كل ذلك بلغة افرنسية شديدة الرشاقة فكانت قصة مأساة ميراث آل رومانوف الذي ظل ثابتاً على رغم الاعقاب انفسهم .

والخاتمة التي جاءت تحمل توقيع بيير اوديا ودومينيك ماروجه معاً قد حللت العقدة المحزنة واحتفظت للشخصية التي علقت انظارنا عليها شكلها الشديد الانسانية وطابعها الصرف بشكلها الروسي على رغم انتماء الجدود الى تعليم لوثر.

ولئن رجعت بعد مطالعة الكتاب الى مقدمته لرأيتها تبحث بايجاز شيق لجميع اطوار الحياة. وتلفت النظر الى كل ادوار كاترينا العظيمة في فيلم شبابها ، وانعم النظر فيما كتبته السيدة ماروجه بصدد التطور الاخير من هذا الفيلم وعنوانه « الزوبعة » : لقد ورطت نفسها في لعبة مخيفة ادنى نتائجها اعتزال العرش او المنفى ان لم يكن الموت وقد انخرطت كاترينا في هذه اللعبة والافضلية الوحيدة التي بيدها هي كتمان سرّ الاسرة في صدرها ولكنها قد اكلت لعبتها بمهارة وجرأة باعثتين على الاعجاب فاحسّ اعداؤها انفسهم انها ابنة بطرس الاكبر الحقيقية وذلك ما عدا وشائج الدم .

وانّنا لندرك من الآن الهوامش الرائعة او المحزنة المفرحة او المؤثرة التي ذيلت بها هذه المذكرات. ان كاترينا مدينة بعظمتها الى ذكائها ومناقبها اكثر مما هي مدينة بها الى حظها .

هنري شارل اليسوعي